مجلة
ابن عباس

مجلة علمية دعوية تربوية

تصدر عن مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما
مؤسسها الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله

العدد ١

شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤٤٦هـ

أشرف اللغات

رحمه الله تعالى

الدكتور أمجد أحسن علي

حياته العطرة، ومآثره الخالدة

الأضحية

سنة إبراهيم عليه السلام
وتقليد العشاق

الحج.. شوق وعبادة

المدارس الدينية..

مكانتها ومقاصدها وواجب
أبنائها تجاه الأمة

مجلة علمية دعوية تربوية

تصدر عن مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما،

مؤسسها الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله

العدد (١) شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤٤٦هـ

المشرف العام

فضيلة الشيخ أبو أحمد عبد المعز بن علي منصور التونسي حفظه الله

اللجنة القائمة على المجلة

الأستاذ أسامة محمود

الأستاذ عامر خالد

الأستاذ محمد شعيب

الأستاذ محمد بن أسلم

الأستاذ حذيفة رفيق

الأستاذ حمزة نذير

الأستاذ نصير الله المنصور

الأستاذ عمار عبد الحفيظ

الأستاذ محمد فرقان

الأستاذ محمد عمران

التنسيق والمراسلات

الأستاذ مدثر ياسين

التصفيف والتصميم

الأستاذ خوشحال

alhebr@madrasaibneabbas.com

alhebr.madrasaibneabbas.com

9 2 3 3 1 2 9 4 3 9 6 1

محتويات العدد

كلمة العدد	أشرف اللغات	الشيخ أبو أحمد عبد المعزبن علي منصور حفظه الله	٥
في رحاب القرآن	ورتل القرآن ترتيلا (١)	الشيخ ظهير أحمد صديقي حفظه الله	٧
	أفلا يتدبرون القرآن	أ. حذيفة رفيق	١٠
	علم غريب القرآن وازدهاره عبر العصور	أ. أبو طلحة حيات	١٣
	اقرأ لتفهم، وتدبر لتتغير	أ. محمد فرقان	١٦
الحج والمناسك	الحج.. رحلة توبة وخوف وشوق	أ. محمد إلياس بن عمران	١٧
	الحج.. شوق وعبادة	أ. كفايت الله	١٩
	الأُضْحِيَّة.. سنة إبراهيم عليه السلام وتقليد العُشَّاق	أ. محمد حسان بن عثمان	٢١
التربية والتعليم	المدارس الدينية.. مكانتها ومقاصدهاوواجب أبنائها تجاه الأمة	تعريب: أ. أسامة إقبال	٢٣
	تربية الأولاد	أ. محمد سعد	٢٥
	وصايا من مشكاة النبوة للمعلمين	أ. سيد بلال سليم	٢٨
اللغة العربية	أمسية مع كلمة عربية (١) : لقاء مع أول خلق الله	أ. محمد شعيب	٢٩
	رحلة عبر الزمن.. في قضية من قضايا النحو	أ. عمار عبد الحفيظ	٣١
	ياصباحاه!! العربية في خطر، ورجالها في أفل	أ. حمزة نذير	٣٤
الأخلاق والرقاق	الشكر قيد للموجود، وصيد للمفقود	أ. أبو الهيثم فرقان أحمد	٣٦
	باب التوبة لا يغلق أبدا	أ. محمد أسامة عبد الرحيم	٣٨
المسلمون في العالم	وقفة مع عداوة الأعداء وواجب الأمة	أ. عمر عبد الرحمن	٤٠
الناس والمجتمع	المطاعم... من المتعة إلى المؤنة	أ. حارث كسباتي	٤٢
سير وأعلام	الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله حياته العطرة، ومآثره الخالدة (١)	أ. نصير الله المنصور	٤٣
	رحلة الشيخ عمر فاروق رحمه الله إلى الدار الآخرة (١)	أ. عبد الرحمن عبد الله	٤٥
قصة وعبرة	السائق الوفي	أ. أبو سالم الأنصاري	٤٨
إشراقات أدبية	مقاطعة أم مشاركة ..حوار صديقين أيقظ ضميرًا نائمًا	أ. ذيشان إسماعيل	٤٩

ما ينشر في المجلة يعبر عن آراء كاتبيها، ولا يعكس بالضرورة رأي المجلة

أشرف اللغات

الشيخ أبو أحمد عبد المعز بن علي منصور حفظه الله

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه تبارك وتعالى ربنا، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي أفصح العرب والعجم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، رضي الله عنهم أجمعين.

أما بعد؛

فإن اللغة العربية من أشرف اللغات قاطبة، وأقدمها لسانا، وأوسعها لغة، وأغزرها مادة، وأكثرها ألفاظا، ويكفيها شرفا أنها لغة الوحي (القرآن الكريم والحديث النبوي)، فضلا أنها لغة سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ومن تدبر القرآن الكريم وأمعن النظر سيتضح له جليا شرف اللغة العربية وقدرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، وقوله عز وجل :﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٤١]، وقوله تبارك وتعالى:﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]. ففي هذه الآيات الثلاثة أشار الله سبحانه الى الرباط الوثيق والصلة القوية بين اللغة العربية من جهة والعلم السديد والفهم السليم والدين القويم من جهة أخرى، فلا علم ولا فهم ولا دين بلا لغة عربية. وقال عزّ من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد:٣٧]، في هذه الآية يوضح ربُّنا أنّ القرآن الكريم لسان عربيّ وحُكم عربيّ، قال الشيخ الطاهرُ بن عاشور رحمه الله: «للقرآن الكريم كمالان: كمالٌ في اللفظ وكمالٌ في القصد»، وقال الإمام السيوطيّ رحمه الله: «هذه الآية تجعل الصلة قويةً بين اللغة والتفكير»، فمن ضيع لغته ضيع تفكيره وشخصيته.

وقال المفسر ابن كثير رحمه الله معللاً اختيار العربية لغة للقرآن الكريم: «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات»، وقال الفارابي رحمه الله: «القرآن كلام الله وتنزيله، فَصَّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويَذَرُون، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة».

أمّا ما ورد في السُنة ويشير إلى اهتمام النبي ﷺ باللغة العربية. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودِّع فقال: أنا محمد النبي الأمي (قالها ثلاث مرات) ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه. أخرجه أحمد في مسنده (ح:٦٦٠٦)، حسّن إسناده أحمد شاكر في تخريج المسند.

والحديث الثاني ما جاء عن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطِيتُ فَواتِحَ الكَلِمِ وخَواتِمَه». قُلْنا: يا رسولَ اللهِ عَلِّمْنا مما عَلَّمَك اللهُ عز وجل، فعَلَّمَنا التشَهُّدَ. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

وقال القاضي عياض رحمه الله: «وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يُجهل؛ سلاسةَ طبع وبراعةَ منزع وإيجازَ مقطع ونصاعةَ لفظ وجزالةَ قول وصحةَ معانٍ وقلةَ تكلُّف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها».

وقال الرافعي واصفاً بلاغته ﷺ: «إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مُسددَ اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب متناسِب الأجزاء في تأليف الكلمات... ورأيته في الثانية حسن المعرِض، بيِّن الجملة، واضحَ التفضيل، ظاهِرَ الحدود جيدَ الرصفِ، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في

تصريفه، بديعَ الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان...».

وأما ما جاء عن السلف الصالح ومن بعدهم أنهم كانوا يرون اللغة العربية من الدين، «فقد كان أبو عمرو بن العلاء يَعُدُّ العربية من الدين لا تنفصل عنه ولا ينفصل عنها، فبلغ ذلك عبد الله بن المبارك فقال: صدق».

ومن أروع ما قيل في اللغة العربية ما قاله الشيخ العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله في قصيدته حياة اللغة العربية:

لغة أُودعَ في أصدافها ... من قوانين الهدى أبهى دُرَرْ
أفلم ينسجْ على منوالها ... كَلِمُ التنزيل في أسمى سور
هي البحرُ غصْ على حليتها ... فلآليْ البحرِ ليست تنحصر
فاض من نهر مبانيها على ... فصحاء العرب سيلٌ منهمر
فاسأل التاريخ ينبئك بما ... أنجبت أرض قريش أو مضر
من خطيب مِصْقَعٍ أو شاعر ... مُفْلِقٍ يسحب أذيال الفخر

وما أريد أن ألفت النظر إليه أنّ اللغة العربية لم تندثر كغيرها من اللغات، بل بقيت سليمة ولم ينقص منها شيء، والعامل في ذلك أن العرب قديما حافظوا عليها لأنها كانت جزءا من حياتهم، بل كانت لهم أسواق لهذا الغرض، منها سوق عكاظ؛ يأتونها في موسم الحج ويمكثون شهرا كاملا، وكذلك سوق مجنة؛ يستمر سبعة أيام يتناشدون الشعر وتعرض فيه القصائد والخطب... على فصحائهم وبلغائهم، وهكذا دأبهم في كل سنة، فضلا عن ما يعقد بينهم في نواديهم، وعندما جاء الإسلام كانت العربية في عنفوان شبابها، فازدادت قوة على قوة وفتوة على فتوة. ولا يخلو زمن إلا بعث الله من يحفظ هذه اللغة من شعراء وأدباء ولغويين، كلبيد بن ربيعة وكعب بن مالك وأبي الأسود الدؤلي... وفي الزمن الأموي أوجد الله نوابغ وفصحاء كالأخطل والفرزدق وجرير والوليد بن عقبة وعمر بن أبي ربيعة...

أما العصر العباسي فقد شهد ازدهارًا كبيرًا في الأدب العربي، حيث برزت مجموعة من الشخصيات الأدبية التي تركت بصمات لا تُمحى في تاريخ الأدب العربي. من بين هؤلاء، يأتي أبو الطيب المتنبي كواحد من أعظم شعراء العربية، الذي تميز بقوة شعره وعمق معانيه. كذلك، يُعتبر الجاحظ من أبرز الكتّاب والنقاد في هذا العصر، حيث أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته الفريدة مثل "البيان والتبيين" و"كتاب الحيوان". كما لا يمكن إغفال دور أبي العلاء المعري، الشاعر الذي عُرف بآرائه الجريئة وأسلوبه الفريد في الكتابة، ولا ننسى عَلَما من أعلام اللغة أبا الفتح عثمان بن الجني، كان المتنبي يقول: «ابن الجني أعلم بشعري مني». هؤلاء وغيرهم من الأدباء العباسيين ساهموا في تشكيل هوية الأدب العربي ورَفْعِ مستواه ،ومن يتقصّى هذه اللغة يجد أن الله جلّ جلاله أوجد في كل زمن من يعتني بها، والسبب الرئيس في ذلك ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم والحديث الشريف... علما بأنها ليست مجرد لسان بل هي علم ومن أهم العلوم، لا يفهم الوحي (القرآن) إلا بها، واليوم جاء دورنا؛ فماذا قدمنا لهذه اللغة العريقة المباركة؟ فمِن مسؤوليتنا أن نحافظ عليها، وأن نتعلمها ونعلّمها، وننشرها في أصقاع الأرض، وأن نتنافس فيها حتى تعم الفائدة، ونشكر ونشجع كل من ساهم في الاعتناء بها، ومن أجل ذلك أُنشِئَتْ مدرسة ابن عباس، أسأل الله لها القبول (آمين)، وأن يجعلها منارة للعلم والعلماء ، ومن أهم ما يُذكر أن مؤسس هذا الصرح الشامخ الشيخ الدكتور أمجد رحمه الله كان مولعا وشغوفا بنشر هذه اللغة المباركة في أنحاء المعمورة، ومما يعرف عنه رحمه الله أنه كان لا يهنأ له بال ولا يقر له قرار، وكان دائم الفكرة إلى آخر رمق، ومن أعجب ما رأيناه في آخر أيامه أنه اشتد به المرض ومع ذلك لا يتخلف عن المشاركة في المجلس التعليمي ولو لبعض الوقت (رحمه الله رحمة واسعة).

ونختم هذه الكلمة الموجزة بما قاله الإمام الشافعي رحمه الله: «اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ، ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأول» وقال أيضًا: «ما جَهلَ الناسُ ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحلقة (١)

وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا

الشيخ ظهير أحمد الصديقي حفظه الله

سلسلة علمية مباركة تتناول أحكام تجويد القرآن الكريم، وتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالرسول ﷺ؛ هدفا إلى تمكين القارئ من جودة التلاوة وحسن الأداء، وعصمة لسانه من اللحن عند تلاوة كتاب الله عزوجل.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فإن من مزايا القرآن الكريم أنه متعبَّد بتلاوته، كما أنه متعبد بمعرفة أحكامه والعمل بمقتضاها.. كذلك هو متعبَّدٌ بتلاوته بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفِه، قال الإمام السيوطي : «ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية». اهـ.

ولا يتمُّ ذلك إلا بالتلقي عن الشيوخ المشهود لهم بالضبط والإتقان، ويعرف عنهم ذلك بالإجازة أو الاشتهار، ويدلُّ على أهمية التلقي أن أفضل أنواع التلقِّي في الحديث هو السماع من لفظ الشيخ، ولا يتمُّ التلقِّي في القرآن الكريم إلَّا بالعرضِ على الشيخ بعد السماع منه؛ لأن التلميذ يتحمَّل ألفاظَ شيخِه ويتعلَّمُ طريقة أدائه.

ورسول الله ﷺ إنما أخذَ القرآن الكريم بالتلقِّي، كما قال الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٦١-٨١]،

وقالت فاطمة رضي الله عنها: «أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي». والمعارضة: هي المدارسة، بحيث يعرض كلُّ واحد قراءته على الآخر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن جبريل كان يعرِض القرآن على النبي ﷺ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فالمعارضة هي القراءة من الجانبين ليقوِّم التلميذ حروفه على قراءة شيخه. ومما يدلُّ على أهمية ذلك قول الله تعالى :﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٧١-٨١].

المبادئ العشرة للتجويد:

إن مبادئ كل فن عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة
ونسبة وفضله والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

فحد التجويد لغة: التحسين، واصطلاحًا: إخراج حروف الهجاء من مخارجها الصحيحة، مع إعطاء الحروف حقها من الصفات اللازمة لها من جهر وشدة واستعلاء وإطباق وإصمات وعكسها، ومستحقها من الصفات العارضة لها من التفخيم والترقيق والمد والغنة والإخفاء

والإدغام ونحوها.

وموضوعه: كلمات القرآن الكريم من حيث النطق بها، حتى يقرأ القارئ بالتجويد قراءةَ سليقةٍ لا قراءةَ تكلفٍ.

والغرض منه: عصمة اللسان من اللحن في كتاب الله عز وجل، واللحن المراد هنا: الخطأ في التجويد، وهو نوعان: جلي وخفي، فاللحن الجلي: خطأ يعرض للفظ فيخلُّ بالمعنى والإعراب، كرفع المجرور ونصبه، ونحوهما، سواء تغير المعنى أم لا. واللحن الخفي: خطأ يخلُّ بالصفات ونحوها مما لا يخل بالمعنى، كترك الإخفاء وترقيق المفخم، ونحوها، قال الملا علي القارئ: «ولا شك أن هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد، وإنما فيه خوف العقاب والتهديد».

وغايته: تمكين القارئ من جودة القراءة، وحسن الأداء، وعصمة لسانه من اللحن عند تلاوة القرآن الكريم لكي ينال رضا ربه وتتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

ونسبته إلى سائر العلوم: التباين.

فضل علم التجويد، وأهميته:

هو من أجلِّ العلوم وأشرفها؛ لتعلقه بكلام الله سبحانه وتعالى كما أن تعلمه له أهمية كبرى حيث يعين المسلم على تلاوة القرآن الكريم حق التلاوة. قال الله تبارك تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة:١٢١] وأخرج مسلم (رقم ٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

ثمَّ إن رسول الله ﷺ كان يوجِّه الصحابة رضي الله عنهم إلى القراء المتقنين ذوي الاختصاص في التجويد من أصحابه، فقال ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عنهم».

وقال ﷺ: «إن الله يُحبُّ أن يُقرأ القرآنُ كما أنزل».

وقال ﷺ: «من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا طريًّا – وفي رواية رطبًا – كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن مسعود». اهـ. وما ذاك إلا للمحافظة على التجويد وأداء التلقي.

والأداء الحسن في القراءة هو تصحيح الألفاظ وإقامة الحروف على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالرسول ﷺ التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها، ولذلك فإن من اللحن الخفي ما يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوا من أقوال العلماء، وضبطوا عن ألفاظ أهل الأداء الذين تُرتضى تلاوتهم، ويوثق بعربيتهم، ولم يخرجوا عن القواعد الصحيحة فأعطوا كل حرف حقه من التجويد والإتقان.

مراتب القراءة:

وقال الله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، وقال علي رضي الله عنه: «الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف».

بناء على قول علي رضي الله عنه لا تجوزُ قراءة القرآن إلا بالترتيل، وقسم علماء التجويد الترتيل إلى ثلاثة أقسام: **الأول**: التحقيق، وهو القراءة بتؤدة وطمأنينة وإشباع مع تدبر المعاني ومراعاة الأحكام، واختاره ورش وعاصم وحمزة. **والثاني**: الحدر، وهو الإسراع في القراءة مع مراعاة أقل التجويد، بقصر المد المنفصل و المد العارض للسكون، وهو مذهب أبي عمرو وقالون وابن كثير، **والثالث**: التدوير، وهو مرتبة متوسطة بين المرتبتين الأوليين، وهو مذهب ابن عامر والكسائي، وهذا هو الغالب على قراءتهم، وإلا .. فكل منهم يجيز الثلاثة.

واضع علم التجويد: من حيث التطبيق: هو الله عز وجل وحده، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل:٤]. وقال النبي ﷺ: «هكذا أنزلت»، ووصل إلينا من النبي ﷺ بالتلقي المسلسل. وقال بعضهم: واضعه من الناحية العملية: رسول الله ﷺ، وأما من الناحية العلمية فقيل: أبو الأسود الدؤلي، وقيل: أبو عبيد القاسم بن

سلام، وقيل: الخليل ابن أحمد الفراهيدى، وقيل غير ذلك من الأئمة.

واستمداد علم التجويد: من كيفية قراءة النبي ﷺ وقراءة أصحابه رضي الله عنهم وقراءة التابعين وتابعيهم من أئمة القراءة حتى وصل إلينا بطريق التَّواتر.

وحكم الشارع فيه: العلم به فرض كفاية، والعمل به فرض عين، وفيه تفصيل سبق من كلام الملا علي القارئ، قال الإمام ابن الجزري، وهو يذكر أهمية التجويد:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضًا حلية التلاوة ... وزينة الأداء والقراءة
وهو إعطاء الحروف حقها ... من صفة لها ومستحقها
ورد كل واحد لأصله ... واللفظ في نظيره كمثله
مكملا من غير ما تكلف ... باللطف فى النطق بلا تعسف
وليس بينه وبين تركه ... إلا رياضة امرئ بفكه

ومعنى الأبيات: أن الاهتمام بالتجويد أمر ضروري للقارئ، لا بد منه، ومن لم يصحِّح القرآن عند قراءته مع القدرة عليه فهو آثم عند الله؛ لأن الله أنزل القرآن بالتجويد، وهكذا وصل القرآن من الله عز وجل إلينَا بالتلقي مجوَّدًا، والتجويد حلية التلاوة وزينة أداء الحروف وكلمات القرآن.

وحقيقة التجويد: أن تعطي الحروف حقها من الصفات اللازمة لها التي لا تنفكُّ عنها في حال من الأحوال، وما يستحقُّها من الصفات العارضة التي نشأت باتصال حرف آخر، ولا يمكن ذلك إلا بعد ردِّ كل الحروف إلى مخارجِها الأصلية، ولا يكفي الاهتمام بذلك في اللفظ مرة، بل النطق في نظير هذا الحرف إذا تكرر كالنطق به أول مرة؛ لتكون القراءة على نسق واحدٍ، فإذا بدأ القراءة بقصر المد المنفصل والمد العارض للسكون مثلًا فليقصر في كل مد منفصل و مد عارض للسكون، وهلمَّ جرًّا.

ويكون الاهتمام بالتجويد مكملًا للصفات من غير تَكَلُّفٍ في أداء الحروف، فيلتزم اللطف في النطق، ويجتنب التعسف (وهو ضد اللطف)، فلا يخرج الحروف بقوة بحيث تتقزز منه الأسماع، وليس بين الأخذ بالتجويد وترك اللطف إلا الرياضة المستمرة على الاهتمام بالتجويد، والأخذ من أفواه المشايخ، وتكرار السماع منهم والتدريب على ذلك.

مسائل علم التجويد:

وهي منحصرة في أربعة، وهي: المخارج والصفات اللازمة، والصفات العارضة، والوقف والابتداء.

وفي الحلقة الثانية، سنتناول بإذن الله مخارج الحروف وألقابها وصفاتها اللازمة المتضادة وغير المتضادة، وفي الحلقة الثالثة: سنتناول الصفات العارضة من غنة ومد وإدغام وإخفاء وإظهار، وكذا نتناول أحكام الوقف والابتداء، ومنها: الاستعاذة والبسملة، والإشمام والروم والمرسوم الذي يتعلق بالوقف.

(يتبع...)

والله لإسلامك أحب إلي...!

هذه وقعة فتح مكة، وقد حضر العبّاس بأبي سفيان في فسطاط رسول الله ﷺ، وعمر رضي الله عنه قائم بين يديه يستأذن رسول الله ﷺ في قتل أبي سفيان، يقول العباس رضي الله عنه : «فلما أكثر فيه عمر، قلت: مهلا يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا! فقال: مهلا يا عباس، **فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما ذاك إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم!**»

تاريخ الإسلام للذهبي (٣٦٤/١)

أفلا يتدبرون القرآن

أ. حذيفة رفيق

يا من ينطق باللغة العربية ويفهمها، اعلم قدرك، إن الله أنعم عليك بمعرفة لغة القرآن، والحق أن من عرف هذه اللغة وفهمها فقد تمكن من فهم القرآن مباشرة دون واسطة، واستطاع أن يتدبر في هذا الكتاب الجليل، بل يغوص في معانيه ودقائقه وكنوزه وأسراره.

لا شك أن الإعجاز القرآني لا يمكن نقله إلى أي لغة أخرى، وإن أمكن ترجمة المدلول والمفهوم، وأمّا ما في كتاب الله من الإعجاز: فلا يمكن نقله. ورُبَّ كلام لو ترجم إلى لغة أخرى، فإنه يفقد ما فيه من المعنويات والحماس، كأنه جسم بلا روح، من ثم قد لا يرضى المتكلم أو الكاتب بترجمة كلامه، حتى لا يضيع روحه، ولرُب كلام لا تنفع الترجمة فيه، فلو تُرجم لضاع كنهه، مثلا: ماذا ينفعنا لو ترجم «كليلة ودمنة» لابن المقفع، أو «نظرات» للمنفلوطي، أو معلقة امرئ القيس...؟ وقس على هذا في العربية وفي غيرها.

فإذا كان ذلك لا يستحسن في كلام البشر، وهو صادر عن عقول بشرية وأقلام إنسانية، فكيف بكلام الله جل وعلا، الذي تفرّد الله بوضعه ونظمه، لم يشاركه فيه غيره، وكيف باللغة التي اختارها الله لكتابه العزيز؟ وكما أن هذا الكتاب فوق مستوى صنع البشر، كذلك هذه اللغة تفوق مستوى بقية اللغات وسائر الألسنة.

إذن، لا يمكن أن يغوص في بحر القرآن، ويتدبر في معانيه، ويحوز كنوزه إلا من كان عالما باللغة العربية، فالعربية أول وسيلة لهذا الأمر الجليل، ولا شك أن كل من يقرأ هذا المقال: يفهم العربية... ولا أبالغ إن قلت: إن طلاب المدارس الشرعية، لا سيما في شبه القارة الهندية، لا يقصدون بتعلم العربية إلا فهم القرآن والسنة؛ فهم يدرسونها مجردة عن أي غرض آخر، ولا يبتغون بها أغراضا مادية.

للأسف أن هذا المقصد الذي من أجله يقضي أحدنا سنين طويلة، ثم لا يفرّغ من أجله بضع ساعات، بل عدة دقائق ...!، فالواقع أن حظ التدبر في كتاب الله لدى المشتغلين بالعلوم العربية قليل، ومما نراه في طلاب المدارس، حتى في خريجيها، أنه يغيب عنهم فهم معنى كثير من الآيات القرآنية التي تعظ وتُذكِّر. إن آيات الأحكام قد تتطلب جهدا مديدا، وتقتضي معرفة أقوال عديدة للمفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولكن آيات العظة والتذكير، والإنذار والتبشير، والترغيب والترهيب ليست كذلك، فهي - في الغالب - سهلة الكلمات، قليلة الفواصل، مكررة الألفاظ، بارزة المفاهيم، واضحة الدلالة، فمما يعاب على أحدنا (ممن له صلة ومعرفة باللغة العربية) أن لا يتدبر في هذه الآيات التي أمر الله جل وعز بالتدبر فيها!

حقًّا، إن التدبر في القرآن الكريم يكشف أسرارًا عظيمة،

ويزيد الإيمان، ويقرّب العبد من الله، وينوّر القلب. وإن التدبر لا يعني حفظ الآيات واستظهار معانيها، أو جمع أقوال المفسرين، ... بل المقصود أن يجلس الإنسان مع كتاب الله، متجردًا عن كل تفسير، يتأمل في الآيات، كأن الله يخاطبه بها مباشرة، يتوقف عند كل آية حتى يشبع منها تأملًا وفهمًا وتدبّرا، وتتأثر بها نفسه، ولربما تطول وقفته مع آية واحدة لساعات، وكفانا ما ورد عن الذي نزل عليه القرآن الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فإنه ربما بات ليلة كاملة مع آية واحدة، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨][1]

وورد مثل ذلك عن كثير من الأسلاف الأعلام، من الصحابة والتابعين، والفقهاء والمحدثين، أذكر جملة من الأمثلة على سبيل المثال:

وعن يحيى بن عبد الرحمن قال: «سمعت سعيدَ بن جُبيرٍ رحمه الله يُرَدِّدُ هذه الآيةَ: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] حَتَّى يُصْبِحَ».[2]

وعن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي، إذ استبكى فكثر بكاؤه، حتى فزع له أهله، وسألوه. فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم، فجاء إليه فقال: ما الذي أبكاك؟

قال: مرت بي آية!

قال: وما هي؟

قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاؤهما.

وعن ابن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟!

قال: أخشى آية من كتاب الله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.[3]

وما أدق تدبر الصحابي الجليل زرارة بن أوفى رضي الله عنه قاضي البصرة، كما رواه بهز بن حكيم: أنّ زُرارةَ بن أوفى رضي الله عنه كان يؤمُّ في بني قُشَير، فقرأ يومًا في صلاة الصبح: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩]، خر ميتا، فكنت فيمن احتمله إلى داره».[4]

عن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة رحمه الله قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] ، ويبكي، ويتضرع إلى الفجر.[5]

هذا التدبر وهذه الجلسات وهذه الوقفات وهذه اللحظات الهادئة: مفقودة في الأمة اليوم، وبالطبع أول من أخاطب بهذه المقالة - بعد نفسي- من يفهم العربية، ثم أوجّه كلامي إلى من لا يفهم العربية بأكملها، ولكن يفهم شيئا منها، كلمات يسيرة منها، وجملا بسيطة مشهورة منها، ينبغي له أن يتدبّر فيما يتيسّر له، بل أخص بالمخاطبة أيضا من لا يفهم العربية أصلا، فإنه يمكن له أن يتعلم آيات معدودة، ثم يردّدها حتى يتمكن من فهمها، ثم يتدبّر فيها، هناك رجال ليسوا بعرب، ولم تكن لهم معرفة سابقة بالعربية، ولكنهم أرادوا أن يتدبروا في كتاب الله العزيز، فأخذوا بعض الآيات، وتعلّموها وجعلوا يتدبّرونها ويستفيدون مما فيها من العظة والتذكير.

إن هذا التدبر ليورث نتائج عظيمة وأرباحا كبيرة جليلة، إن الله سبحانه وتعالى ذكر في صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، ثم ذكر الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ، وهاتان الصفتان لا تتحققان إلا بالتدبر. وبعد هاتين الصفتين يذكر الله سبحانه وتعالى ثلاث صفات أخرى، وهي كما يلي: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال:٢-٣] ثم عقّب الله جل وعلا هذه الصفات الخمس بمِنَحٍ جليلةٍ،

(١) سنن النسائي: ١٠١٠، وسنن ابن ماجه: ١٣٥٠

(٢) حلية الأولياء: ٢/ ٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٥٥.

(٤) سنن الترمذي: ٤٤٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٤٠١

فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٤].

من تدبر القرآن، سيجد نفسه تتماشى مع سياق القرآن، فإذا مرّ بآية تشير إلى نعمة أو خير: سأل الله تعالى إياه، وإذا مرّ بآية تَذكر عذاب الله وعقابه: استعاذ منه، كما كان دأب النبي ﷺ وأصحابه، فعن حذيفة رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ، فما أتى على آية رحمة إلا وقف وسأل، وما أتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ.[٦]

وعلى هذا كان أصحاب النبي ﷺ وأزواجه المطهرات رضي الله عنهن وأرضاهن، فعن القاسم رحمه الله قال: «كنتُ إذا غَدَوْتُ أبْدَأ ببيتِ عائشةَ أُسَلِّمُ عليها. فغدوتُ يوماً فإذا هي قائمةٌ تُسَبِّحُ[٧] وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتَدْعُو وتَبكي وتُرَدِّدُها. فقُمتُ حتى مَلَلْتُ القيامَ، فذهبتُ الى السوقِ لحاجتي، ثُمَّ رجعتُ فإذا هي قائمةٌ كما هي، تُصلِّي وتَبكي».[٨]

وعَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا مَرَّتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، فَقَالَتْ: «اَللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا، وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ». فَقِيلَ لِلْأَعْمَشِ: فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «فِي الصَّلَاةِ».[٩]

وينبغي أن يكون أحدنا يدعو الله هكذا عند تلاوته لكتابه، فعلى سبيل المثال للآية السابقة، يقول العبد بعد تلاوتها: «اللهم اجعلني من الذين إذا ذُكرت وجلت قلوبهم، واجعلني من الذين إذا تليت عليهم آياتك زادتهم إيمانا، واجعلني من المتوكلين».

وإن هذا التدبر يرقق القلب، فتدمع العين، وهو المطلوب، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۩ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وكان النبي ﷺ يبكي لسَماع القرآن، كما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان.[١٠]

وقد أمر النبي ﷺ بالبكاء عند التلاوة، فعن عبد الرحمن بن السائب، قال: قَدِمَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وقد كُفَّ بَصَرُهُ، فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحبا بابن أخي، بلغني أنك حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، وَتَغَنَّوْا بِهِ، فمن لم يتغن به فليس منا».[١١]

يَقُول ابن نَصْر: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: «قوموا بنا إِلَى هَذَا الفتى المطلبي يقرأ القرآن»، فإذا أتيناه استفتح القرآن حَتَّى يتساقط الناس بين يديه، ويكثر عجيجهم بالبكاء، من حسن صوته، فإذا رأى ذلك أمسك عَنِ القراءة[١٢].

لا شك أن التدبر في كتاب الله كنز عظيم، وعجائبه لا تنقضي، نسأل الله أن يوفقنا جميعًا للتدبر في كتابه، وأن يمنَّ علينا بهذه النعمة الجليلة، وأن يجعل القرآن نورًا لقلوبنا وسببًا لهدايتنا.

(٦) سنن الترمذي: ٢٦٢

(٧) أي تصلي نافلة.

(٨) حلية الأولياء: ١/ ٢٩٢.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة، رقم: ٦٠٣٦.

(١٠) رواه البخاري: ٤٥٨٣

(١١) سنن ابن ماجه: ١٣٣٧

(١٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٢٤/ ٣٦٨، مؤسسة الرسالة.

علم غريب القرآن وازدهاره عبر العصور

أ. أبو طلحة حيات

أنزل الله تعالى القرآن العزيز على الرسول الأمين ﷺ بواسطة الروح الأمين بلسان عربي مبين، قال الله عز و جل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] فكان له دور في جمع اللهجات وتأسيس علوم اللغة. ومع توسع الدولة الإسلامية واختلاط الألسنة، نشأت الحاجة لتدوين العلوم العربية حفاظًا على اللغة ولضمان فهم الدين. ارتبطت هذه العلوم ارتباطا وثيقًا بالقرآن، وتخصص منها «علم غريب القرآن» لتفسير ألفاظه ودراسة جوانبه المتعددة كالقراءات وأسباب النزول.

فلا غرو؛ أن تعلم معاني غريب القرآن مهم وضروري، ولابد منه للقارىء ومفسر القرآن الكريم؛ لأنه يسهل فهم المقصود من كلام الله سبحانه وتعالى، قال القرطبي: «ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسهل عليه معرفة ما يقرأ، ويزيل عنه الشك فيما يتلو»[١]، وقد حرّض النبي ﷺ على تعلم إعراب القرآن الكريم مرغبا في الأجر العظيم والثواب الكبير، وأخرج البيهقي من رواية أبي هريرة رضي الله عنه « أن النبي ﷺ قال: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه».[٢] وأخرج من رواية ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا: « من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة فإن أعربه وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة».[٣]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهنَّ، والعملَ بهنَّ.[٤]

المقصد من إعرابه تعلم معاني ألفاظه وليس المقصد منه الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل الخطأ.[٥]

لذا جعل الكثير من أئمة المسلمين تعلم معاني كلمات القرآن الكريم أساسا لابد منه لمعرفة القرآن، قال الإمام فضيل بن عياض لجماعة من المسلمين: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه»،[٦] وتتضح أهمية تعلم كلمات وألفاظ كتاب الله العزيز إن عرفنا أن كثيرا من كبار الصحابة توقفوا عند كلمات فلم يقولوا فيها شيئا كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب و ابن عباس رضي الله عنهم، لذا قال صاحب التبيان: «ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها [...] وتفسير الألفاظ اللغوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله».[٧]

وحتى إنه روي عن الصحابة الكرام و التابعين

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢١

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢٧.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: ١ / ٨٠.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٣

(٦) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢٢.

(٧) التبيان في آداب حملة القرآن: ١ / ١٦٥ - ١٦٦

أنهم كانوا يستشهدون على الكلمة الغريبة من القرآن الكريم بالشعر، قال أبو بكر الأنباري: «قد جاء عن أصحاب رسول الله والتابعين - رضي الله عنهم - من الاحتجاج بغريب القرآن ومشكله باللغة والشعر».[٨]

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه أعلم الناس بهذه الطريقة، فروي أنه « بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج:٣٧] قال العزون: حلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: فجاؤوا يهرعون إليه حتى .. يكونوا حول منبره عزينا، إلخ».[٩]

وقد اختار غير ابن عباس رضي الله عنه أيضا من الصحابة المنهج نفسه مثل: عكرمة رضي الله عنه عندما سئل مرة عن الزنيم فقال: هو ولد الزنى، و استشهد ببيت من الشعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم [١٠]

وروي عن عمر رضي الله عنه مثل ذلك، فعن أنس: «أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل:٤٧] ثم سأل هل منكم من يعرف معنى التخوف، فقام الرجل من قبيلة هذيل، و قال: التخوُّف عندنا التنقص، ثم استشهد بقول الشاعر من هذيل:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكًا قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النبعةِ السَّفِنُ

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: «كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر:١] حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها».

فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى «الأَبّ» ومعنى «التَخَوُّف» ويسأل عنهما غيره، وابن عباس - وهو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى «فاطر» إلا بعد سماعها من غيره، فكيف شأن غيرهما من الصحابة؟ و لا شك أن كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالى للآية، فيكفيهم - مثلاً - أن يعلموا من قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] أنه تعداد للنِعمَ التى أنعم الله بها عليهم، ولا يلزمون أنفسهم بفهم معنى الآية تفصيلاً ما دام المراد واضحاً جلياً.[١١]

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه: «عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم».[١٢]

وقد أنكر جماعة من النحويين هذه الطريقة من الاستشهاد على شرح غريب القرآن بالشعر ظانين أنهم بعملهم هذا يجعلون الشعر أصلا للقرآن، فرد عليهم هؤلاء: «ليس أننا جعلنا الشعر أصلا للقرآن الكريم، بل أردنا تبيين معنى الحرف الغريب من القرآن بالشعر العربي»،[١٣] لأن الله تعالى أنزل كتابه و كلامه بلسان عربي مبين، و قد روي عن ابن عباس: «الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه».[١٤]

كانت بداية علم غريب القرآن شفهية، بتفسير الرسول ﷺ الكلمات الغامضة لأصحابه، ومخاطبته ﷺ العرب بما يفهمون ويعلمون من لغتهم، ولهذا قال: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[١٥]، فكأن الله قد علّمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه، وكان أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - ومن يحضر عند الرسول ﷺ من قبائل العرب يعرفون ويفهمون أكثر ما يقوله، وأما عما لم يفهموه من كلامه فسألوه

(٨) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢٤.

(٩) الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٦٨.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢٥.

(١١) التفسير والمفسرون: ١ / ٢٨ - ٢٩.

(١٢) التفسير و المفسرون: ١ / ٥٨.

(١٣) الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٦٧.

(١٤) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١ / ٢٤.

(١٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٣ / ٣٧٧

– عليه الصلاة والسلام – عنه، فيفسر ويوضح لهم[١٦].

لذلك كانوا إذا ما أشكل عليهم أمر ؛ سألوا الرسول ﷺ عنه فأزال الإشكال عنهم ووضّح وبيّن، وأجاب حسب مستوى السائل وفهمه.

وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يهتمون بفهم مراد الله تعالى في كتابه اهتماما كبيرا، وقد لعبوا دورا هاما بعد الرسول ﷺ وكانوا في فهم القرآن أعلم الناس على العموم، لأن القرآن أنزل بلسانهم، وعاشوا أحداثَ النزول وشاهدوها، وتعلموا من رسول الله ﷺ نفسه؛ واستمر علم غريب القرآن في عصر الصحابة شفهيا دون كتابة[١٧]، ثم بعد زمن الصحابة رضي الله عنه اشتهر بعض التابعين – رحمهم الله تعالى – برواية تفسير الصحابة ويقول مجاهد في هذا الموضوع: من لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير[١٨].

في مطلع القرن الثاني الهجري، ومع ازدهار الحركة العلمية، نشأت علوم قرآنية متعددة (منها: علم نقط القرآن وشكله، وعلم الوقف والابتداء، وعلم الغريب، وعلم لغات القرآن، وعلم أحكام القرآن، وعلم الناسخ والمنسوخ). واستقل من بينها «علم الغريب» وألّف فيه العديد من العلماء. ووفقًا لابن الأثير، فإن اختلاط العرب بغيرهم بعد الفتوحات أدى إلى تأثر اللسان العربي، مما استدعى اهتمام أهل العلم بحفظ هذا العلم.

أما أقدم ما وصلنا في تفسير غريب القرآن، فهو الكتاب المنسوب لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهو مُرتب على السور مع تفسير كلمة بكلمة. وقد ذكره الإمام السيوطي كاملاً، معتبرًا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما وأصحابه المرجع الأساسي في هذا الباب لثبوته وشموليته.

وقد استمر التأليف في موضوع غريب القرآن عبر العصور، حتى ذكر الإمام السيوطي أن «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون». وكانت غالبية المؤلفات في هذا المجال خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

(١٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٤

(١٧) تفسير غريب القرآن العظيم المقدمة: ص ١٢.

(١٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١ / ٦

وجميع الكتب التي صنفت في غريب القرآن لم تسم بـ (غريب) بل بعضها سميت بـ (معاني القرآن)، و (مجاز القرآن) و (إعراب القرآن) و (لغات القرآن) فكل من هذه الكلمات استعملت بمعنى (الغريب)[١٩] و سمي مصنفو هذه الكتب بـ (أهل المعاني).[٢٠]

(١٩) مجاز القرآن مقدمة الكتاب: ٣

(٢٠) الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٣.

البلاغة النبوية

قال مصطفى صادق الرافعي يصف البلاغة النبوية:

"هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله.

مُحكَمَة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة.

وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنما هي في سُموها وإجادتها مظهرَ من خواطره ﷺ.

إن خرجت في الموعظة قلت: أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت: صورة بشرية من الروح، في مَنزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء، وإذا أراك القرآنُ أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء."

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (٣٩١/١)

اقرأ لتفهم، وتدبر لتتغير

أ. محمد فرقان

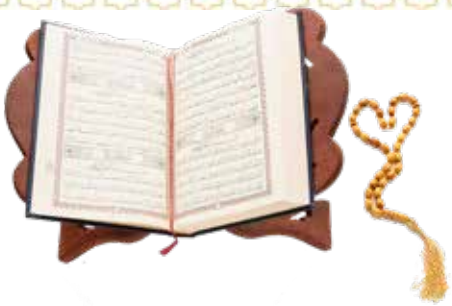

استوقفتني آية من كتاب رب العالمين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فتوقفت أردد هذه الآية، حتى أخذني آخذ إلى ساحة التفكير، وبدأت أسيح في معانيها ومقاصدها، وأقول في نفسي:

من هؤلاء الذين تتحدث عنهم الآية ؟

أمسلمون هم؟ أم هم المؤمنون؟

أم تعني الآية المسلمين العاصين؟

أو يريد الله بها الكفار؟

أم الخطاب موجه إلى كل قلب أُسدل بينه وبين القرآن حجاب، أو أقفل دونه الأبواب ؟

كنت متفكرا في تتبع المعنى، حتى وصلت إلى أن أبدأ من الجذور، من المفردات فهي مفاتيح المغاليق.

فشمرت عن ساعدي الجد، وطرقت باب المكتبة كمن يطرق باب كنز دفين، وجعلت أتصفح أوراق كتب التفسير، كتابا كتابا.

فبدت لي أقوال المفسرين تدور حول أن الخطاب موجه إلى كل من أعرض عن تدبر القرآن، سواء كان كافرًا لم يؤمن به أصلًا، أو مسلمًا لم يُلق له بالًا، أو مؤمنًا قصّر في الوقوف مع آياته وتفهّمها.

تناولت تفسير القرطبي[1]، فوجدته يبين أن أصل القفل: اليبس والصلابة. ويقال لما يبس من الشجر: القفل والقفيل مثله والقفيل أيضا نبت والقفيل: الصوت وقال القشيري والجوهري: أقفله الصوم أي أيبسه.

وذكر الإمام الطبري في كتابه قولا رواه خالد بن معدان عن ثور بن يزيد: قال: ما من آدمي إلا وله أربع أعين، عينان في رأسه لدنياه وما يصلحه من معيشته، وعينان في قلبه لدينه وما وعد الله من الغيب، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه وإذا أراد الله به غير ذلك طمس عليها، فذلك قوله: أم على قلوب أقفالها.

ووقع بصري أثناء هذا على آية أخرى تتضمن معاني التدبر والتأمل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

فعثرت على حكمة الله من إنزال هذا الكتاب الجليل العظيم، وعلمت أن بالتدبر والتأمل في كتاب الله تظهر للإنسان أسراره وخباياه التي لا تنجلي لكثير من الأنام، وتُدرك بركته وخيره بإعادة التفكير فيه مرة بعد مرة، ولا ننسى أن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من التلاوة السريعة التي لا يحصل بها المقصود.

وبينما أنا أقرأ وأتصفح الأوراق شعرت بشيء من الحزن والقلق، فأغلقت الكتاب، وجلست قليلًا مع نفسي جلسة المحاسبة فقط، وتساءلت: وكم مرة مررتُ على الآيات مرور الكرام! ولقد قرأت مرات عديدة بلا تدبر، هل أنا في الذين أُقفل على قلوبهم، أم ممن يسعون إلى فتح الأقفال بمفاتيح التدبر والفهم والعمل؟

ولو ننظر إلى أسلوب مكالمة الرب جل وعلا مع عبده في آية: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] نتعجب من غاية لطفه وكرمه، قد خاطب أهل العقول، وبشّرهم بأن الكتاب سهل المنال من حيث الحفظ والفهم والقراءة، يحفظه الصغير الذي يبلغ من عمره خمس سنوات من غير تكاكأ وتردد.

أما سؤاله ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ؛ فهَبْ أن أبًا يسأل أبناءه، أو أستاذا يلتمس من تلامذته، وشيخًا مربّيا من الذين يتربون على يده: أريدكم أن تحفظوا صفحة من كتاب... كالفاتحة والإخلاص، فمن يستعد؟ ومن يقدم نفسه لهذه المهمة؟

أسلوب أنيق لا تمله الألسنة ولا تشبع منه القلوب، بل نرى ونسمع أن الذي يقرأ الكتاب بتأنٍّ وتدبر يرتع في حدائق سماوية، تسحر القلوب وتأسر النفوس ، و يا لها من نفوس أُسرت في محبة الله وعلقت بها، لا لتخرج؛ بل تتمنى بقاءها أبد الدهر في مراتع العبودية والطاعة.

هكذا خرجت من هذه الساحة الفكرية بعهد مع نفسي أن أقرأ لا لمجرد التلاوة، بل لأتدبر، وأن أتأمل لا لأتثقف فقط، بل لأتغير.

فأيها القارئ الكريم، ما رأيك؟ هل تريد أن تسيح معي في هذه الحديقة الغناء، العذب ماؤها، الحلو ثمرها؟ نقطف أطايب الثمار ولذيذ الفواكه، ونطيب عيشا بالقرآن، ونحلي حياتنا بترداد آيات كتاب ربنا، فهيا بنا نقرأ ونرتق.

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة المتوفى سنة ٦٧١ هـ

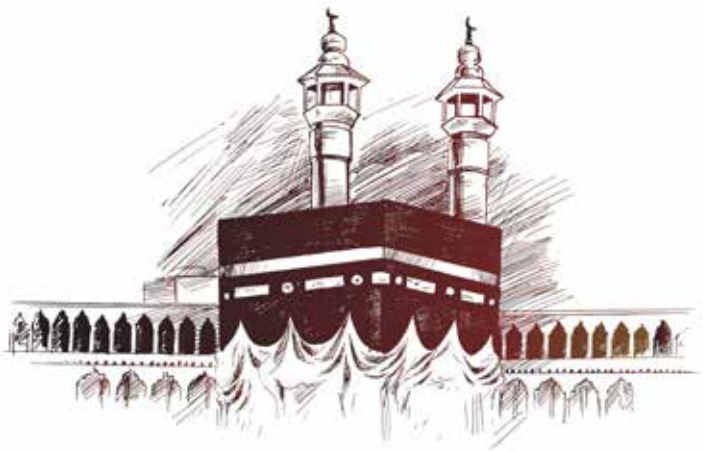

الحج .. رحلة توبة وخوف وشوق

أ. محمد إلياس بن عمران

توقّف أيُّها الحاج! هل عملت ما يكفي ليقبل الله حجك الذي شرعت فيه، ويجعله حجا مبرورا، وهو الذي نطق عنه لسان النبوة على صاحبها الصلاة والسلام: «الحجة المبرورة ليس لها ثواب إلا الجنة» (١).

حاسب نفسك قبل أن تبدأ هذه الرحلة المباركة، تفقّد حياتك في بيتك مع العيال، وفي السوق مع التجار، سلوكا وكسبا وإنفاقا، ضعها في ميزان الشريعة، فما رأيته محرَّما فأقلع عنه، واعتذر إلى كل من أسأت إليه، ورُدَّ الديون إلى أصحابها، لئلا تكون من المفلسين الذين ورد فيهم: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخِذ مِن خَطاياهُم فطُرِحت عليه، ثم طرح في النار»(٢).

تأمل، هل كنت من التاركين لفريضة من الفرائض؟ هل رضيت بتقصير أولادك في الصلاة؟ هل عقدت عقودا مخالفة للشرع؟ فكِّر فيها وأمثالها، واستغفرالله تعالى، يقول تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [النوح:١٠]

واعلم أيها العازم للحج، أن هذه رحلة درسٍ وعبرةٍ، فلتتذكَّر عند قطعك العلاقات لسفر الحج، قطعَ العلاقات لسفر الآخرة، وأما الراحلة إذا أحضرتها فلتتذكر المركب الذي تركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي ستُحمَل عليها، أما شراء ثوبي الإحرام فلتتذكر عند ذلك الكفن والتفافك به، أما وقوع بصرك على بيت الله الكعبة المشرَّفة فينبغي أن تملأ قلبك عندئذ عظمةُ البيت، وتمنّ أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم، وإنك بالطواف متشبه بالملائكة المقرَّبين الحافِّين حول العرش، الطائفين حوله، وأما الاستلام فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمِّم عزيمتك على الوفاء ببيعتك، وأما السعي بين الصفا والمروة فإنه يشبه المحشر، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه...، والوقوف بعرفة يذكر قصة عهد «ألست بربكم».

هذا، ومن جهة أخرى فإن الحج عبارة عن عادات محب لمحبوبه، إذ الحاج يدور حول بيت محبوبه في الطواف، ويقبل جدرانه وأحجاره لشدة حبه لمحبوبه، يقول القائل:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

يسعى الحاج بين الصفا والمروة، يصبح بمكة ويمسي بمنى، يصبح بعرفة ويمسي بمزدلفة، كالمحب في تذكار محبوبه، ويتجول بين دياره، وإذا زاد حُبُّ المُحِبِّ واشتد، يضطرب قلبه ويختلج صدره، فيضرب كُلَّ مَن رآه حائلا بينه وبين محبوبه كالحاج يرمي الجمرات الثلاث، إنها رحلة ليست كغيرها من الرحلات، تحمل في طياتها معانيَ جليلة، ويكمن في ثناياها دروس عظيمة، إنها رحلة التدرّب على الخوف من الله والشوق إليه، فاسلك لطلبهما أحسن

(١) النسائي:٢٦٢٢

(٢) مسلم:٢٥٨١

المسالك.

تأمَّلْ حالَ أولياء الله، يقول سفيان بن عيينة رحمه الله: حج عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما، فلمّا أحرم واستوت به راحلته، اصفَرَّ لونُه وانتفض ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: لِمَ لا تُلَبّي، فقال: أخشى أن يُقالَ لي: لا لبَّيك ولا سعديك، فلما لبّى غشي عليه، ووقع عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه (إحياء علوم الدين).

وأخرج ابن الجوزي عن عبد الله بن الجلاء يقول: كنت بذي الحليفة وشاب يريد أن يحرم، فكان يقول: يا رب! أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك، فأخشى أن تجيبني بلا لبيك ولا سعديك (يردد ذلك مرارا) ، ثم يقول: لبيك اللهم مدَّ بها صوته وخرجت روحه.

ولما حَجَّ جعفر الصادق، فأراد أن يلبي، تغير وجهه، فقيل: ما لَكَ يا ابنَ رسولِ الله ﷺ؟ فقال: أريد أن ألبِّيَ، فأخاف أن أسمع غير الجواب.

وعن بشر بن الحارث: قال: رأيت على جبال عرفة رجلا قد ولع به الوله، وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له
على شبا الشوك والمحمي من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته
ولا العشير ولا عشرا من العشر
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه
سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أُنسي إذ خلوت به
في جوف ليلي وفي الظلمات والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي
من لي سواك ومن أرجوه يا ذخري

ثم أنشد أيضا:

كم قد زللت فلم أذكرك في زللي
وأنت يا سيدي في الغيب تذكرني
لأبكين بدمع العين من أسف
لأبكين بكاء الواله الحزن

قال: ثم غاص في خلال الناس فلم أره، فسألت عنه، فقيل لي: هذا أبو عبيدة الخواص منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عز وجل.[٣] .

فتأمل وتدبر أيها العازم للحج! إنها تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر، وإشارة للفطن.

"القرآن سرّ السماء.."

قال مصطفى صادق الرافعي واصفا روعة أسلوب القرآن الكريم:

"ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وصراها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب.

ومعان بينا هي عذوبةٌ ترويك من ماء البيان، ورقّةٌ تستروح منها نسيم الجنان، ونورٌ تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان.... وبينا هي ترفّ بِندى الحياة على زهرة الضمير، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير، وتهبّ عليها بأنفُس الرحمة فتنمّ بِسِرّ هذا العالم الصغير.... ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تتساقط الدموع من الأجفان، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان؛ إذ هي بعد ذلك إطباق السحاب وقد انهارت قواعده، والتمعت نارُه وقصفت في الجو رواعدُه، وإذ هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها، واستأذنت في صدمة الفزع ربها، فكادت ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة؛ وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة؛ فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض "مائدة"...

...لا جرم أن القرآن سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون، وظلت آياته تلقف ما يأفكون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون".

تاريخ آداب العرب، للرافعي (٢/ ٢٢)

(٣) مثير العزم الساكن، إلى أشرف الأماكن

الحج .. شوق وعبادة

أ. كفايت الله

الحج حلول بمعالي الرحمن، وهو وقوف بساحة جود المنان، و-بالفعل- هو مشاهدة لذلك المشهد المكرم، وفيه إلمام بمعهد العهد الرباني المقدم، والرحلة إلى تلك الأماكن شرف وعلو، والتمشي في تلك البقاع فخار وسمو، ولا يخفى أن لكل دولة أو ملة اجتماعا يتوارده القاصي والداني من كل الأرجاء ومن جميع البلاد، ليتعارف بعضهم على بعض، ويستفيدوا أحكام الملة ويعظموا شعائرها، فالحج مؤتمر المسلمين، وظهور شوكتهم واجتماع جنودهم، وتنويه ملتهم، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ٥٢١].

وهناك طرفة ذات صلة أن من أحب شخصاً في الدنيا، وتعشق بجماله، وتجرع من كأس الهوى، فأولى مرحلة يقطعها من مراحل الشوق هو التبري والمجانبة وتفريغ القلب عن سائر ما سوى المحبوب من الآباء، والأبناء، والأزواج، والعشائر، والأموال المقترفة، والمساكن المرضية وأسباب الزينة ومكاسب العيش وغيرها، واتخاذ كل ذلك وراءه ظهرياً، ثم الاستغراق في تصور المحبوب والذهاب إلى دياره في هيئة رثة ساذجة، والهتاف باسمه مرة بعد مرة، وطواف بيته للتطلع إلى أنوار جماله تارة، والهيمان في الأودية والجبال والصحاري أخرى، وغير ذلك من علاقات الحب الصادق وآثار الشغف الكامل.

فإذا تعشق العاشق بجلال عشق ربه الباري، وامتلأ قلبه بالحب الإلهي، فلا بد له حينئذ من السير إلى ديار محبوبه الحقيقي، والذهاب إلى بيته الغالي، وهذا هو الحج في الدين الإسلامي.

وإضافة إلى ذلك، هناك نقطة أخرى، وهي أن الروح الإنسانية تدور - في عالم الحب- حول محبوبه وتقبّل عتبة داره، فالكعبة كالنموذج للمحب الصادق، وهو يظهر حماسة عشقه وحبه لله تعالى قولا وجسدا وعملا، فيدور حول الكعبة كمن جن في حب المحبوب، وحلق رأسه متشكلا بشكل المجذوب، ومن اللازم في الحب والإطاعة والعشق الحقيقي لله أن العاشق يهجر ما حوله من أمه وأبيه، وصاحبته وبينه، وفصيلته التي تؤويه، ويحضر عند محبوبه الحقيقي بكل جوع وعطش هاجرا ما على رأسه من عمامة أو قلنسوة، وتاركا كل ما يعبر عن حسن وجمال وزينة، من طيب وقلم أظفار وقصر أشعار.

ثم لإيجاد الوئام والتوافق والوحدة أوجب الإسلام على كل من يقصد حج البيت أن يتحلى بزي الفقراء، عاريا رأسه، متلففا بردائين لا مزيد عليهما من لباس، والقاصد سواء أكان ثريا صاحب الجاه وسيد قومه أو

كان صعلوكا هائما على وجه، ، جذبه حب محبوبه الحقيقي وهذا الحب الحقيقي يظهر في شكله حين يمثله الحاج بتقبيل الحجر الأسود، وفي السعي بين الصفا والمروة تعبير عن تردد الخادم في ساحة قصر الملك إبرازا لإخلاصه في خدمة حاكمه، ليكسب شفقته ويسعد بوجهة نظره، أو كمن يتردد عند الحاكم وهو يجهل عن عاقبته ما ذا سيحكم عليه حاكمه؟ والوقوف بعرفة والمبيت في مزدلفة والنزول بمنى دليل إظهار إطاعته لمولاه وإظهار التضامن مع أهل الملة والدين. ثم يقوم برمي الجمار على الأماكن لعدوه وعدو حاكمه رغبة وتنفرا عنه، كما هو إطاعة لربه الباري، فكرا وقولا وعملا بلا رفث ولا فسوق ولا جدال.

وهكذا يبقى الحج رحلة شوق وحب مع كونه عبادة وإطاعة، كأنما يهمس الحاج بمكنون قلبه لمن لا يخفى عنه خافية، في كل نسك من مناسكه تتجلى صورة المحب الذي لا يرى في المشقة إلا لذة ولا في الزحام إلا قربا، ولا في التعب إلا وفاء لعهد الحب الإلهي، فسلام على قلوب عرفت الطرق، وسارت إليه حبا لا فرضا، وشوقا لا عادة.

سلسلة : قبس من سيرة النبي الكريم ﷺ (1)

حسن عشرة النبي ﷺ مع أهله

قالت عائشة رضي الله عنها : أتيتُ النبيَّ ﷺ بخزيرة قد طبختها له، فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها، كلي، فأبت، فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها، وقال لها: ألطخي وجهها، فضحك النبي ﷺ لها، فمر عمر فقال: يا عبد الله، يا عبد الله، فظن أنه سيدخل، فقال: قوما فاغسلا وجوهكما، فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ . (أخرجه أبو يعلى ٧/ ٤٤٩).

الخَزِيرَة: لَحْمٌ يُقَطَّع صغارا، ويُصَبُّ عليه ماءٌ كَثِير، فإذا نَضِج، ذُرَّ عليه الدَّقيق، فإن لم يكن فيها لحم، فهي عَصِيدَة، وقيل: هي حَساء من دقيق ودَسَم وقيل: إذا كان من دَقيق، فهي حَرِيرَة، وإذا كان من نُخَالة، فهو خَزِيرَة. (النهاية)

أ. سعيد أيوب

الأُضْحِيَّة..
سنة إبراهيم عليه السلام وتقليد العُشَّاق

أ. محمد حسان بن عثمان

الأضحية من أقدم شعائر الدين، ولقد جعلها الله سبحانه وتعالى قربةً لكل أمة حيث قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]، وهي سنة أبينا إبراهيم عليه السلام، وليست هي اسم لإراقة الدم فحسب؛ بل هي مَعْلَمَة من معالم الامتثال والطاعة، امتثالٌ لا محايدة فيه ولا تجافي عنه في أي حال من الأحوال، لا من خوف ولا من طمع، ولكنه ترقب إشارة أو ترصد تلميح من المطاع، فهي تعلم الإنسان درس الزهد في الدنيا، وهي مكيفة لتكييف الإيمان القوي واليقين الصادق بأخبار الغيب ومنيرة الدرب للسالك الذي يسعى في تقوية علاقته بربه سبحانه وتعالى، والتحزب في حزب الله بغيته والنَّيل من حب الله له غايته، فهي تحمل أعمق معاني الحب والعشق والإيثار، و قد نوه بهذا الجانب العلامة محمد منظور نعماني – رحمه الله تعالى – في «معارف الحديث»:

والعاشر من ذي الحجة هو ذلك اليوم التاريخي المبارك الذي قد أثبت فيه مؤسس الأمة المسلمة سيدنا إبراهيم خليل الله – عليه الصلاة والسلام – وفاءه الصادق وتسليمه ورضاه الكاملين بتقديم فلذة كبده سيدنا إسماعيل عليه السلام طائعًا إلى جناب الله تبارك وتعالى لما تلقّى الإشارة والأمر منه سبحانه وتعالى في منامه، وقد أعلن الله تعالى بفوزه ونجاحه في ابتلاء عشقه وحبه وتضحيته فأبقى الله سيدنا إسماعيل – عليه السلام – حيًّا وسليمًا وتقبل منه تضحية حيوان مكانه، وتوَّجَ سيدنا إبراهيم عليه السلام بتاج ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ٤٢١]، وجعل التشبه بِدَلالِه «التقليدَ العاشقي»... (معارف الحديث ٣/ ٢٣٨).

هذا... والأضحية ثابتة بالدلائل القطعية من الكتاب وبالأحاديث المتواترة وتواتر عمل الأمة الإسلامية، **أما الكتاب**: فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] يقول رئيس المفسرين ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى «وانحر»: فاذبح يوم النحر (السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٥٩)، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: وانحر على اسمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٢٦١-٣٦١]، قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن – رضي الله عنهم –: يعني بذلك نحر البُدن ونحوها. (تفسير ابن كثير ٤/ ٥٥٨)، وقال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٧٣].

وأما الأحاديث: فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ انكفأ إلى كبشين أقرنين أملحين، فذبحهما بيده. (صحيح البخاري ٢/ ٨٣٣)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي كل سنة هذا حديث حسن (سنن الترمذي ١/ ٢٧٧)

وأما عمل الأمة : فأكتفي فيها بقول العلامة العيني – رحمه الله تعالى –:

قوله: (فليذبح باسم الله)، قيل: الباء، بمعنى اللام، أي: فليذبح لله، ويجوز أن تتعلق الباء بمحذوف أي: فليذبح متبركًا باسم الله، وإنما كرر هذا للتأكيد، فعن هذا قال أبو حنيفة بوجوب الأضحية، وبه قال محمد وزفر والحسن وأبو يوسف في رواية، وهو قول مالك والليث وربيعة والثوري والأوزاعي، وعن أبي يوسف: إنها سنة، وبه قال الشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أهل العلم، وذكر الطحاوي أنها: على قول أبي حنيفة واجبة، وعلى قول أبي يوسف ومحمد: سنة مؤكدة. (عمدة القاري (٦/ ٣٠٥).

وأما تعريف الأضحية: فقال عنه في الهندية: «الأضحية:

وهي في الشرع اسم لحيوان مخصوص بسن مخصوص يذبح بنية القربة في يوم مخصوص عند وجود شرائطها وسببها، كذا في التبيين.» (٥/ ٢٩١)

وثمة أمور تتعلق بمحل إقامة الواجب:

جنس الواجب: ففي الهندية: «(أما جنسه): فهو أن يكون من الأجناس الثلاثة: الغنم أو الإبل أو البقر، ويدخل في كل جنس نوعه، والذكر والأنثى منه والخصي والفحل لإطلاق اسم الجنس على ذلك، والمعز نوع من الغنم والجاموس نوع من البقر، ولا يجوز في الأضاحي شيء من الوحشي، فإن كان متولدًا من الوحشي والإنسي فالعبرة للأم، فإن كانت أهلية تجوز وإلا فلا، حتى لو كانت البقرة وحشية والثور أهليًا لم تجز...» (٥/ ٢٩٧)

سِنّ الواجب: ففي الهندية أيضا: (وأما سنه) فلا يجوز شيء مما ذكرنا من الإبل والبقر والغنم عن الأضحية إلا الثني من كل جنس وإلا الجذع من الضأن خاصة إذا كان عظيما، وأما معاني هذه الأسماء فقد ذكر القدوري رحمه الله أن الفقهاء قالوا: الْجَذَعُ من الغنم ابن ستة أشهر والثَّنِيُّ ابن سنة والْجَذَعُ من البقر ابن سنة والثَّنِيُّ منه ابن سنتين و الْجَذَعُ من الإبل ابن أربع سنين والثَّنِيُّ ابن خمس (٥/ ٢٩٧).

آداب الواجب وما يستحب فيه: ففي الهندية أيضا: ويستحب أن يربط الأضحية قبل أيام النحر بأيام وأن يقلدها ويجللها وأن يسوقها إلى المنسك سوقًا جميلًا لا عنيفًا، وأن لا يَجُرَّ برِجْلِها إلى المذبح، كذا في البدائع. وإذا ذبحها تصدق بجِلَالِها وقلائدها، كذا في السراجية.

والمستحب أن تكون الأضحية أسمنها وأحسنها وأعظمها، وأفضل الشاة أن تكون كبشًا أملح أقرن موجوء، وأن تكون آلة الذبح حادة من الحديد، ويستحب أن يتربص بعد الذبح بقدر ما يبرد ويسكن من جميع أعضائه وتزول الحياة من جميع جسده، ويكره أن يضحى ويسلخ قبل أن يبرد، هكذا في البدائع.

والأفضل أن يذبح أضحيته بيده إن كان يحسن الذبح؛ لأن الأولى في القربات أن يتولاه بنفسه، وإن كان لا يحسنه فالأفضل أن يستعين بغيره، ولكن ينبغي أن يشهدها بنفسه، كذا في الكافي. (الهندية ٥/ ٣٠٠).

وهناك بعض مسائل الأُضحيَّة التي لا ينبغي التغافل عنها للمضحي، أذكرها من خزانة الفقه الحنفي الغنية:

مسألة: الأضحية تجب على الحر البالغ المقيم العاقل الموسر المسلم، فلا تجب على العبد والصغير والمسافر والمجنون والمسكين والكافر. الهندية (٥/ ٣٠٠).

مسألة: شراء الأضحية بعشرة أولى من أن يتصدق بألف، كذا في الفتاوى الكبرى (الهندية ٥/ ٣٠٠).

مسألة: من كان له عقار فإن كانت قيمته مع الخارج الزائد عن الحاجة أو أحدهما يساوي مائتي درهم فصاعدًا تجب عليه الأضحية وإلا فلا.

مسألة: لو كان على أحد دين بحيث لو صرف فيه نقص نصابه لا تجب. (الهندية ٥/ ٢٩٢).

مسألة: من كان له دين حال أو مؤجل على مقر ملي وليس في يده ما يمكنه شراء الأضحية لا يلزمه أن يستقرض فيضحي، ولا يلزمه قيمتها إذا وصل إليه الدين، لكن يلزمه أن يسأله ثمن الأضحية إذا غلب على ظنه أنه يدفعه. وإن كان له مال كثير غائب في يد شريكه أو مضاربه ومعه ما يشتري به الأضحية من الحجرين أو متاع البيت تلزمه الأضحية، كذا في القنية. (الهندية ٥/ ٢٩٢).

مسألة: لا يعد الرجل غنيًا بالكتب إلا أن يكون لديه من كل نوع كتابان برواية واحدة عن شيخ واحد وعن شيخ برواياتين كرواية أبي حفص وأبي سليمان عن محمد لا يجب، ولا يعد غنيًّا بكتب الأحاديث والتفسير وإن كان له من كل نوع كتابان، وصاحب كتب الطب والنجوم والأدب يعد غنيًّا إذا بلغ قيمتها نصابًا. (حاشية الطحطاوي ٤/ ١٦٠).

مسألة: التضحية بالديك والدجاجة في أيام الأضحية ممن لا أضحية عليه لإعساره تشبيها بالمضحين مكروه؛ لأنه من رسوم المجوس، كذا في الخلاصة. ومن لا أضحية عليه لإعساره لو ذبح دجاجة أو ديكا يكره، كذا في وجيز الكردري. (الهندية ٥/ ٣٠٠).

مسألة: وتجوز بالجاموس لأنه نوع من البقر (البحر الرائق ٨/ ٣٢٤) وقال العلامة ابن المنذر رحمه الله: وأجمعوا على أن حكم الجواميس حكم البقر (الإجماع لابن المنذر ١/ ٤٥).

فهذه كانت بعض اللآلئ الملتقطة من مسائل الأضحية من كتيب صغير في حجمه، غزير في علمه، لشيخي الفقيه وسيدي المفتي أحمد ممتاز أبقاه الله ذخرًا ثمينًا للعلم وأهله، وأدام نفعه للمسلمين، وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفعني بهذه الكلمات والناظرَ فيها وأن يجعلها نافعة للأمة وأن يتقبل هذا اليسير ويصفح عن التقصير ويتجاوز عن الحقير فإنه نعم المولى ونعم النصير.

للعلامة أبي الحسن علي الندوي

المدارس الدينية..
مكانتها ومقاصدها وواجب أبنائها تجاه الأمة

تعريب: أ. أسامة إقبال

قدِّم هذا المقال باللغة الأردية في شهر مارس سنة ١٩٥٤م في ندوة علمية لطلبة دار العلوم ديوبند، ويتضمن هذا المقال بيانا لمكانة المدارس الدينية الحقيقية، وتحديدا لما ينبغي أن يتحمله طلبتها وخريجوها من واجبات جسام ومسئوليات كبرى في خدمة الدين والأمة، وفيما يلي نصه المترجم.

إن من أشد ما يلحق بالمدرسة من إساءة وانتقاص أن يطلق عليها اسم «ذكرى في العهد القديم»، إن في ذلك طمْس لهويتها، وتجريد لروحها المتجددة. أنا أرى المدرسة كيانا أكثر استقرارا وقوة تمتلك قدرة عظيمة على الحياة، وتمتاز بالحركة والنمو والإثمار، أصلها مرتبط بالنبوة المحمدية، وفرعها بالحياة الإنسانية، فهي ترتوي من ينابيع النبوة ثم تروي حقل الإنسانية، فإذا ما أهملتْ وظيفتها جفَّتْ حقول الإنسانية وأشجارها، وذبلت أزهارها، وتعكّر غراسُها، فاعلموا وأيقنوا أن أنهار النبوة لا تبرح تجري ولمَّا تنضب، والإنسانية لا تزال ترتوي من فيوضها وظلّت غير مرتوية ، فهل يُعقل أنَّ ينابيع النبوة تبخل أو تنهر سائلا؟! وأن العالة والفقراء (الإنسانية) قد استغنت و ارتوت؟! فلقد قال النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنما أنا قاسم والله يعطي» ، والإنسانية تردد: «هل من مزيد».

فأي مؤسسة في العالم يمكن أن تكون أكثر حياة وحركة وانشغالًا من المدرسة؟

إن قضايا الحياة وتقلباتها وزلّاتها، واحتياجاتها وأكاذيبها وتعاساتها وقُطّاعَها وأمانيها وعزائمها لا حصرَ لها، والمدرسة تحمّلت هذه الأعباء على عاتقها، فأنى لها الراحة والدَّعة، ورغد العيش؟!

ألا كل مؤسسة وفرد في هذا العالم حُقَّ لهم أن يقعدوا عن وظائفهم؛ ليزيلوا عن أنفسهم تكبُّد أثقالهم إلا المدرسة، وكل مسافر يستحق الراحة إلا مسافر المدرسة؛ فقد حرَّمها على نفسه أو تستقرّ الحياة فلا حرج عليه آنذاك أن يأخذ قسطا من الراحة أثناء المسير، وما دامت الحياة تجري كالنهر المنساب، فكيف للمدرسة أن تألف السكون والركود؟! على المدرسة أن تترصَّد الحياة عند كل خطوة، وأن تتصدَّى للفتن، وترشِد الإنسانية مع تقلُّبات الزمن، وتهدي الضالين، وتوطِّد الطريق للمتردِّدين، فإذا تخلَّفت عن مسافر الحياة أو انهارتْ، أو ركدتْ دون السعي للتطور والطموحات، أو أصابها البطر والاختيال، فمن الذي يقود الأمم، ويسير بها نحو دروب السعادة الخالدة، ويُبلِّغها أمانة النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام؟!

إن تعطل المدرسة، وانزواءها عن القيادة، وركودها، إنما هي عوامل الانتحار والغدر بالإنسانية، وكل من هو عارف بنفسه مدرك لواجبه لا يرضاها لنفسه، بل لا تخطر هذه الخلال الذميمة بباله.

مسؤوليات العلماء والمتعلمين:

إن ما تعهَّدتم به وارتضيتموه لأنفسكم لهو من أعظم التعهدات، وأنبل المسئوليات، فلا أعلم فئة على بقاع الأرض تكدح ما تكدحون، ولا حرفة هي أدق وأهم من حرفتكم، حدِّقوا أنظاركم في قولتي هذه مرة أخرى: «أصل المدرسة مرتبط بالنبوة المحمدية، وفرعها بالحياة

الإنسانية»، هذا هو سرُّ جلالة مهنتكم، و دليل نُبلكم وشرفكم ، فالانتماء إلى النبوة وعلومِها زُلفى أيما زلفى؛ بيد أنها مسؤولية سَنيّة، فوالله الذي لا إله غيره لقد حصَّلتم وحزتم كنوز العقائد والحقائق، فوقعت على غواربكم مسؤولية جسيمة لهذا الانتماء العظيم، وهي: أن لا يختلج إيمانك بالله، وأن تتجرأ على التنزّه عن الدنيا ومعايشها، ولا ترضى بالتخلّي عن ذرة من إيمانك ولو أغدقت الدنيا عليك، وأن تنبض عاطفة إدامة هذه الثروة وتأبيدها بقلبك، وأن يفيض قلبك بالفخر بها والشكر عليها، وأن توقِن بصدقها، وصوابها، واستمراريتها، وسموها، وعِصمتها، وأن ترى أن كلَّ عقيدة سواها جهالة وميراثها، وأن تباريَ صناديدَ الجهل متبرئا عن نظامهم وجهلهم قائلا: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ...﴾إلخ، [الممتحنة:٤] وأن تعتقد أن النجاح مقصور على الانقياد للإسلام والسنة النبوية ، وأن ترى علوّ الأفراد والجماعات مكنونا في خير الهدي هدي النبي ﷺ، وأن علوم النبوة عصارة العلوم كلِّها، وصفوة الحقائق جميعها، وأن كلَّ ما يقابلها من الإلاهيات، والفلسفات، وما بعد الطبيعيات، والقياسات، والروايات تراها أساطير وأباطيل، ثم عليك أن تدرك التوحيد بكُنهِه مع الإصرار عليه، وتحقر الشرك وعلوم الأصنام كلَّها وإن كانت مزخرَفة بالفلسفة ومزوَّرة باصطلاحاتها الفتَّانة، وتحرصَ على اتباع السنة موقنا أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وتجزمَ بقلبك أن البدعة ضارة مردودة ، وملخَّص القول: أن تقبل جامعية نبوته ﷺ والعمل بمقتضياتها اعتقادا، وذهنا، وفكرا، وقلبا، وذوقا، وعملا حتى تكون لها نموذجا حيا.

ميزة العلماء والمتعلمين:

إن مزيتكم التي تميزكم عن العامة أنَّ العامة حسبهم من الإيمان مجملُه؛ بينما العالم والمتعلم يلزمهم الانكباب على الإيمان براحة البال واطمئنان الخاطر، فلا يليق بهم الاستجابة والتصديق فحسب؛ وإنما رصيدهم الدعوة إليه فيصبّغوا بصبغة الله المئين والآلاف، وإنه لا يتسنى لهم حتى يكون فرحهم بإيمانهم بمثابة التعاظم والجنون، وصدق الله جل و علا حيث يقول: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦] وحتى يستخلصوا هذا الحديث بكنهه و جوهره: «يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يُقذف في النار، فالعلماء والمتعلمون يتحتَّم عليهم الرسوخ في العلوم، وعشقها، والتفاني والإلحاح في سبيل تحصيلها؛ إذ لا يُتصور القيام بالدعوة بدونها، بل الاحتفاظ بالاستثمار الديني في عصرنا الراهن لا يتأتى بدون هذه الخصال.

المشاعر الداخلية:

واعلموا أن النبي ﷺ كما ورّثنا العلوم والأحكام التي نتدارسها بمعاهدنا ومدارسنا - ولله الحمد والمنة - كذلك فإنه ﷺ خلَّف لنا إرثا آخر، ألا وهو إرث المشاعر والعواطف الداخلية، وكما أن العلوم تنقلَّت من جيل إلى جيل كذلك تلك المشاعر تنقلَّت وتكفَّل الله بحفظها ونشرها، وهي: اليقين والإخلاص، والإيمان والاحتساب، والتعلق مع الله، والإنابة والإخبات، والخشوع والخضوع، والدعاء والابتهال، والاستغناء والتوكل، والحب والولَه ، والتواضع وكبح النفس، فإن علوم النبوة تشمل الأحكام والمشاعر، يقول الله جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ...﴾ إلخ، [الجمعة: ٢] فمَن أخذ منها أولاهما وأهمل أخراهما، أخذ بحظ ناقص، ونابَ نيابة غير مثمرة، ومجدية. وإذا تتبَّعنا أحوال السلف الذين إليهم ننتسب، رأيناهم قد حققوا لأنفسهم النبوغ والبراعة في الأحكام، والثراء والارتواء في الأوصاف، فلا يتسنى لنا الانضواء إلى دُعاة الإسلام وإثارة الانتقاضات إلا بعد الاتِّسام بهذه الجامعية، إذ الجهود والمساعي بدونها كأزهار رُسمت على أوراق لا عبق لها ولا نشوة، وليس خافيا أنَّ العالم مليء بمثل هذه الأزهار الصناعية، فأنى لها أن تتأرَّج فتعطّر العالَم؟!

وإنما بُغيتنا أزهار النبوة الناصعة التي تعطِّر الأجواء بروائحها الشذية فتبهت أمامها أزهار العالم! وصدق الله جل وعلا حيث قال : ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨١١-٩١١]

فليعلم العلماء والطلاب أن مسؤوليتهم أعظم، وأمانتهم أثقل، ومقامهم عند الله أعلى؛ فطوبى لمن حمل العلم، وعمِل به، ونفع به الأمة.

الحلقة (١)

تربية الأولاد

أ. محمد سعد

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وفضلنا على كثير من عباده تفضيلًا، وأمرنا بتربية أولادنا على الصلاح والتقوى، وجعلها أمانةً في أعناقنا، وأعان من استقام على منهجه، وأعدّ لمن فرّط حسابًا عسيرًا، نحمده سبحانه على نعمة الإسلام، ونسأله أن يجعل أبناءنا قرة أعينٍ لنا في الدنيا والآخرة.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، المربي الأعظم، الذي أرشدنا إلى خير الأخلاق، ودلّنا على أسمى القيم، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد...

إن نعم الله عز وجل لا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أي إن حاولتم إحصاء نعم الله فلن تستطيعوا ذلك.

ومن أعظم هذه النعم نعمة الأولاد، فمن وهبه الله هذه النعمة فهو من السعداء، فالأولاد نعمة من الله، ولكنهم أيضًا أمانة في أعناق الوالدين، وليس الأولاد فقط، بل كل نعمة أنعم الله بها علينا، سواء كانت في صورة الأعضاء والجوارح، أو الأولاد، أو المال والثروة، فهي أمانات عندنا، ويجب علينا الحفاظ عليها.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقد ذكر المفسرون أن كل ما أنعم الله به على الإنسان فهو أمانة لديه، والخيانة فيها خيانة لله ورسوله، وهذه الأمانة تشمل الأولاد، والمال، والجوارح، وكل ما وهبها الله إيانا. فمن قصر في تربية أولاده، ولم يربهم على تربية إسلامية، فقد خان الأمانة.

وقد قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري ومسلم). وكما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَائِلُكُمْ عَنْ أَمَانَاتِكُمْ»، أي أن كل مسؤول سيُسأل عن الأمانة التي أُوكلت إليه، حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته: ماذا فعل في تربيتهم؟

فهذا يؤكد أهمية التربية الإيمانية، والتعليمية، والأخلاقية، والعقلية، التي يجب أن يتحمل مسؤوليتها الآباء، والأمهات، والمعلمون، لأنهم جميعًا مسؤولون أمام الله عن رعاية أبنائهم وتربيتهم.

وكما أن البستاني عندما يريد أن ينمّي الشجرة ويرعاها، فإنه يربطها بحبلين، ويسقيها في وقتها، ويعتني بها، فتتكوّن شجرة قوية مستقيمة وفق الاتجاه الذي أراده البستاني، كذلك الإنسان يحتاج إلى تربية صحيحة حتى ينمو في الاتجاه الصحيح، ولكن إذا أهمل البستاني الشجرة في مرحلة نموها، ولم يهتم بتوجيهها، وتركها تتأثر بالرياح، فمالت يمينًا وشمالًا حتى أصبحت شجرة ضخمة ولكن معوجّة، فإنه بعد ذلك لن يستطيع تقويمها، لأن وقت التربية قد فات، وكما قيل: «وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ»، أي أن الشيخ الكبير إذا شبّ على عادة معينة، فمن الصعب تغييرها، بل هو أمر مستحيل،

بينما الطفل الصغير يمكن توجيه سلوكه وتصحيح مساره بسهولة.

لذلك؛ لا بد من استشعار هذه المسؤولية العظيمة، وألّا نغفل عنها، فالتربية ليست مجرد توفير الملابس الشتوية والصيفية للأولاد، كما يظن بعض الناس، بل هي مسؤولية أوسع، تشمل التربية الإيمانية أيضًا، وهي الأهم في بناء الإنسان الصالح الذي يحقق العبودية لله تعالى.

فحسن تربية الأولاد مسؤولية الوالدين، لقد خلق الله الإنسان على طبيعة تتكون من أربعة عناصر أساسية: (١) العقل (٢) القلب (٣) النفس (٤) البنية الجسدية الظاهرة، وهذه العناصر الأربعة تشكل كيان الإنسان، وكلما زاد عمره، زاد نموها وتطورها.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، ثم وهبكم السمع والبصر والفؤاد، لعلكم تشكرون، وشُكْر هذه الجوارح هو أن تُستعمل في أغراضها، ومع مرور الزمن ونمو الإنسان، تتطور هذه العناصر الأربعة، فتشكل شخصيته وتحدد مساره في الحياة.

الغاية الحقيقية من وجود الإنسان على وجه الأرض هي تحقيق العبودية لله تعالى، فإذا تحققت العبودية لله فقد تحقق الهدف من الوجود، ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الغاية؟ إنما يكون ذلك من خلال تربية هذه العناصر الأربعة تربيةً إسلامية صحيحة: تربية العقل تربية سليمة، تربية القلب تربية سليمة، تربية النفس تربية سليمة، وتربية الجسد تربية سليمة، فإذا صلحت هذه الأمور الأربعة وتربّت على النهج الصحيح، فإن النجاح سيكون حتميًا.

ولكن إذا فسد أيٌّ من هذه العناصر الأربعة، فلن يستطيع الإنسان تحقيق مقصوده، بل سيضل الطريق، وقد ينحرف عن الإسلام، أو يصرّ على الكبائر، أو يترك أركان الإسلام والعبادات، فيتحول قلبه إلى صخرة صلبة لا تقبل الحق أبداً، لذلك؛ فإن تربية هذه العناصر أمر ضروري لتحقيق الغاية العظمى، وهي العبودية لله تعالى.

وتشمل التربية الإيمانية ثلاثة أمور أساسية: أصول الإيمان، وأركان الإسلام، وأحكام الشريعة.

أصول الإيمان:

وهي الأمور التي وردت في الإيمان المفصّل: «آمَنْتُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى»، وهذه لا بد أن تُعلَّم للأطفال، لأن الإيمان لا يتحقق بدونها، وكثيرًا ما يحفظ الأطفال هذه الكلمات في الكتاتيب دون أن يعرفوا معناها أو يدركوا حقيقتها، وهنا تأتي مسؤولية الوالدين والمربين والمعلمين، في تعليم الأطفال أصول الإيمان، وتوضيح معانيها لهم، وقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي رواه الحاكم، أن النبي ﷺ قال: «افْتَحُوا عَلَى صِبْيَانِكُمْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ بِـ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، أي أن أول كلمة ينبغي أن يسمعها الطفل هي كلمة التوحيد، حتى تترسخ في قلبه، وينطق بها لسانه، ويؤمن بها يقينًا،ولهذا يُشرع عند ولادة الطفل أن يُؤذَّن في أذنه اليمنى، ويقيم في أذنه اليسرى؛ لأن الأذان يحتوي على الشهادتين، ويشتمل على التوحيد ورسالة النبي ﷺ، كما يتضمن دعوة إلى الصلاة، التي ركن من أركان الإسلام.

أركان الإسلام:

يجب تعليم الأطفال أركان الإسلام الخمسة عمليًا ونظريًا، وهي: الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ» (رواه أبو داود والحاكم). مع أن الطفل في العاشرة من عمره لم يبلغ غالبًا، إلا أن الأمر بالضرب جاء للتأكيد على أهمية تعويده على الصلاة قبل البلوغ، لأن الطفل إذا تُرِك دون توجيه حتى يبلغ، فقد يصعب توجيهه بعد ذلك، كما أن البستاني إذا لم يربط النبتة الصغيرة ويوجهها وهي في طور النمو، فإنها قد تنمو معوجة، ثم يستحيل تقويمها بعد أن تصبح شجرة ضخمة.

وكذلك يُقاس على الصلاة باقي الأركان، مثل

الصيام، حيث يجب تدريب الأطفال عليه تدريجيًا حسب قدرتهم، ليعتادوا عليه منذ الصغر، وكذلك الحج، فإذا كان الوالد مستطيعًا وذهب للحج أو العمرة، فينبغي أن يأخذ معه أبناءه لتعريفهم بمناسك الحج وتعويدهم عليها.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» (رواه البخاري ومسلم). أي أن الطفل يولد على الفطرة السليمة، ولكن والديه هما من يوجهانه إلى أي طريق يسير فيه، لذلك؛ تقع مسؤولية التربية على عاتق الوالدين، وهما من يحددان المسار الذي سيسلكه أبناؤهم.

أحكام الشريعة:

تعليم الأطفال أحكام الشريعة جزء أساسي من التربية الإيمانية، مثل أحكام الصلاة والصيام، وما يجب عليهم معرفته من الحلال والحرام، لأن دائرة الأحكام الشرعية واسعة، ويجب أن تُغرس في الأطفال منذ الصغر، حتى ينشؤوا على التمسك بالدين والعمل بأحكامه.

ويجب تعليم الطفل وفقًا لقدراته العقلية واستيعابه، بحيث يُقدَّم له العلم بطرق تتناسب مع مستوى فهمه، يتم تعليمه الأساسيات، وإيصال المعلومات بشكل بسيط وسهل؛ لأن الطفل عندما يكبر، قد يجد نفسه في موقف يضطر فيه إلى الحديث عن أصول الإيمان وأركان الإسلام وأحكام الشريعة، فإذا لم يكن على دراية بها، فإنه سيتفاجأ بجهله، وقد يُلقي باللوم على والديه لعدم تعليمه هذه الأمور الأساسية؛ لذلك؛ من الواجب أن نغرس فيه التربية الإيمانية منذ الصغر، جنبًا إلى جنب مع التربية الأخلاقية.

التربية الأخلاقية:

تشمل التربية الأخلاقية جميع الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان ذو الأخلاق الرفيعة، مثل: الشجاعة، الكرم، العفو، صلة الرحم، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، كما تشمل أيضًا التحذير من الصفات السيئة، مثل: الحسد، الحقد، البغضاء، الشجار، السب والشتم، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة.

يجب أن يعلّم الطفل هذه الأمور تدريجيًا، فيتم تعليمه مثلًا خطر الغيبة، وحرمة السرقة، وغير ذلك من الصفات الذميمة، بأسلوب يفهمه؛ لأن عقل الطفل في هذه المرحلة يكون نقيًا وقابلًا لاستقبال أي معلومة تُقدَّم له، وما يتعلمه الطفل في صغره يترسخ في ذهنه مدى الحياة، كما يُقال: «العلم في الصغر كالنقش على الحجر.

إذا لم يبادر الوالدان إلى تعليم الطفل وتوجيهه، فإن هناك من سيؤثر عليه بطريقة أو بأخرى، سواء في المدرسة، أو بين أصدقائه، أو في الشارع، وإذا لم يتعلم الأخلاق الحميدة من أهله، فقد يكتسب عادات سيئة من بيئته المحيطة به، لذلك؛ من الأفضل أن يكون لدى الوالدين برنامج يومي أو أسبوعي، يخصصون فيه وقتًا محددًا – ولو كان ١٠ أو ١٥ دقيقة يوميًا – لغرس القيم الإيمانية والأخلاقية في أبنائهم.

(يتبع...)

قال الذهبي رحمه الله : قال أبو إسحاق عن حارثة بن مضرّب أن عليا ﷺ قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما منّا أحد إلا وهو نائم إلّا رسول الله ﷺ؛ فإنه يصلّي إلى شجرة، وهو يدعو حتى يصبح.

تاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٦)

مجلة البرهان

وصايا من مشكاة النبوة للمعلمين

أ. سيد بلال

إن تعليم الأجيال من أهم الوظائف التي تلعب دوراً مهمًّا في رقيّ الأمم، وتقويم كيانها، وإقامة بنيانها على أسس متينة وأصول نزيهة، وهي وظيفة كريمة تقتضي من حاملها الشعور بالمسؤولية العظمى، وتضمن له الأجور العظيمة التي لا نكاد نجدها في غيرها، فالمعلم مرشدٌ، ومربٍّ، ومزكٍّ، وداعٍ، وهادٍ، وقائد، ورائد. من صدره تجري أنهار العلم والمعرفة، ومن لسانه تتدفق عيون الحكمة والموعظة، ومن صوابه تجلو الأفكار بعد أن كانت صدئة في رُكام الجهل والنسيان، ومن خُلُقه تفوح ريح الرحمة والحنان، ومن دعائه يُتزوّد لفتح أبواب الفهم والبيان، ومن فكره تتربّى الأجيال وتتحقق الآمال، وكفى به شرفاً أنّ الله سبحانه وتعالى حين امتنّ ببعثة سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام، عدّ من بين مقاصد بعثته تعليم الكتاب والحكمة، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت معلما».

وقد روى الترمذي رحمه الله بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس لكم تبع، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً».

أيها المعلم! لقد أسدى إليك الرسول ﷺ وصيتين مهمتين في هذا الحديث الشريف، أمّا الأولى فهي توحي إليك أن للناس فيك أسوةً، لا سيما لتلامذتك؛ فإنهم نفوس ترى فيك ظلًّا ماثلاً لمن يُقتدى بهديهم، ويُتأسّى بأسوتهم، فتروي قصص حياتك لآمالها لتأخذ منها ما يُزوّد حين السير إلى آفاق النجاح، فلتُصبَغ أقوالك وأفعالك بصبغة علمية قد أخذت حظًّا وافرا منها، ولا تنسَ أن الصحبة تُكسِبُ تأثيرها، صحب أبو حنيفة حماداً فصار الإمامَ الأعظم، وصحب محمد بن إدريس مالكًا والشيبانيَّ فصار الإمامَ الشافعي، وصحبه أحمد بن حنبل فصار إمام أهل السنة.

وأما الوصية الثانية (فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً)، يعني إذا أتاكم رجال بقصد التفقّه في الدين، فالوصية مني إليكم في حقّهم بمراعاة أحوالهم، وتعليمهم علوم الدين وتربيتهم على أخلاق المهتدين، والاهتمام بمعيشتهم والسعي في إعانتهم .

أخي المعلم! هب أن الرسول الكريم ﷺ أتاك في منامك، وأوصاك برجل وافدٍ إليك، لتقوم على خدمته وترعاه رعاية حسنة، ماذا عساك فاعلا إن أتاك هذا الوصي؟ أليست منزلته لديك أشرف من كلّ ذي حظوة؟ أليس تطييب خاطره أجلّ في قلبك من كل واجب؟ هل تجد لك عذراً إن فرّطت في حقه؟ فإذا كانت هذه فعلتك بوصية المنام، فكيف تنظر إلى من وردت الوصية به على رؤوس الأشهاد؟

فلتكن مهمتك أن تسعى في رعاية أحوالِ تلامذتك الوافدين إليك من كل فج عميق، الطالبين التعليمَ والتزكيةَ والمعيشةَ، ولتكن أسوتك المعلِّم الأعظم بأمِّ المدارسِ «الصُّفَّة الشريفة» صلوات الله وسلامه عليه ، كما يستفاد من قصة سقاية أبي هريرة المشهورة قصعةَ لبن سبعين منهم ، وقصة فاطمة رضي الله عنها لما اشتكت إليه جهد المعيشة، وسألته خادمًا، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفّة تَطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم»، فآثرهم على أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أفليس لك في رسول الله أسوة حسنة؟

لقاء مع أول خلق الله

أ. محمد شعيب

أيها القارئ الكريم يسر «مجلة الحبر» أن تسهم في خدمة اللغة العربية ببدء سلسلة ممتعة شيقة في مقاييس اللغة، حيث نبحث فيها عن صلة بين الكلمات ومعانيها من جذر واحد، وهذه أولى حلقاتها، نستضيف فيها ضيفنا المميز في هذه الأمسية الجميلة، أولَ خلق الله، فلنقدم له تحية سلام ولنرحّب به ترحيب إكرام

مجلة الحبر: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مرحبا بك! لقد شرّفتنا بحضورك ونوّرت ساحة مجلة الحبر.

الضيف: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، شكرا جزيلا، إنما هي سعادتي حين أتحتم لي فرصةً لأُطِلّ على الجمهور وأظهر مكنونات صدري، فجزيتم خيرا.

مجلة الحبر: هلّا شاركت قراءنا الأعزاء بضع كلمات منك، تُعرّفهم بهويتك وتُطلعهم على ملامح من سيرتك الشخصية.

الضيف: إنني أول خلق خلقني الله بقدرته ثم أمرني قائلا: اكتب، فاستفسرت ماذا أكتب؟! قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. كفاني شرفا، أنني من أوائل من تلقى أوامره ليُلبّيها.

مجلة الحبر: كيف وقعت تسمية «القلم» لشخصك؟ وما هي المناسبة بينك وبين هذه الكلمة؟

القلم: لا شك أن العرب لا يطلقون لفظا على معنى أو مسمى ـ في أغلب الأحيان ـ إلا بعد تحقق المناسبة بينهما، فالمادة الأصلية لـ «القلم» التي هي «ق ل م»، وهي تدل على القطع والفصل، يقال «قلّم الظفرَ» إذا قطعه، والعود الذي كانوا يستخدمونه آلةً للكتابة، يقطعونه ويبرون شَبَاتَه ويقلّمونه، وهذا القطع والبري تسبب في تسميته بـ «القلم».

مجلة الحبر: لماذا سمي الزلم بالقلم؟

القلم: الزلم هو السهم الذي لا ريش عليه، وكان أهل الجاهلية يستقسمون به ويستخدمونه في القرعة والقمار، والسبب في تسميته بـ «القلم» نفس ما ذكرته آنفا في تسمية آلة الكتابة فإن السهم يبرى ويقلّم.

مجلة الحبر: أحسن الله إليك على هذه الإفادة، لو أفدت قرّاءنا الكرام بأسماء بعض الأدوات التي تشتق من هذه المادة أعني «ق ل م».

القلم: بعض الكلمات التي اشتقت من هذه المادة هي كالتالي:

١ – المقلمة: محفظة الأقلام أو وعاءها. وسبب تسميتها واضحة.

٢ – القلمان: مقراض يُقصّ به الصوف. وسبب تسميته أنه آلة فصل الصوف وقطعه وهو معنى المادة الأصلية.

٣ – مقالم الرمح: وهي مفاصل تكون في قصبة الرمح. ويلمح سبب التسمية في المفاصل فإنه جمع مفصل الذي يترشح منه معنى القطع والانفصال.

٤ – قُلامة: ما قُطع من الظفر والقلم. سبب التسمية يتجلى في القطع والقص.

مجلة الحبر: تقول العرب لامرأة طال أيْمتُها «مُقَلَّمَة»، وكذا تسمي رجلا أعزب بـ«قالم» كيف تربطهما بمعنى المادة الأصلية؟

القلم: بكل بساطة! أدنى التأمل يوصل إلى الترابط بينهما وبين المعنى الأصلي، ألم تر أنّ المرأة الأيم انفصلت عن زوجها؟ والرجل الأعزب منقطع عن الزواج؟ فالانقطاع والانفصال هو معنى المادة الأصلية.

مجلة الحبر: ماذا تقول في قول العرب «مقلوم الظفر»؟

القلم: تقول العرب «مقلوم الظفر» للرجل الضعيف، إن الحيوان المفترس يعتمد على أظفاره في الاصطياد، وتقليم ظفره يعني قطع قوّته وشوكته، ثم نقل هذا التركيب في حق الإنسان الضعيف مجازا.

مجلة الحبر: ماذا تقول في توجيه قولهم «ألف مُقَلّمة»؟

القلم: معنى قولهم ألف: مجموعة أو كتيبة من المقاتلين، وقولهم مقلّمة: تكشف لنا عن معنى الحِدَّة في السلاح، فإن العيدان تُقلّم وتُبرى لتظهر شوكُها والحِدّةُ فيها.

مجلة الحبر: تقول العرب لنوع من النبات «القُلّام» فما هو التوجيه فيه؟

القلم: لقد سرّحت فكري ونظري لاكتشاف هذا الإطلاق، فلم أهتد إلا بعد أن شاهدت أنّ ورق هذا النبات مدوّر مخروط مثل قصبة القلم أو السهم، وغيره من النبات أوراقها عريضة، أعتقد أن مشابهتها بالقلم تسببت في تسميته بـ «القُلّام».

مجلة الحبر: جزيت كل خير! هذا اللقاء المبارك أوصلني إلى فهم كلمة أريد أن أطرحها عليك، كلمة «الإقليم» تدل على قطعة كبيرة من الأرض وسبب تسميتها كونها منفصلة عن القطعة الأخرى مجاورة لها. فهل كان ما رأيتُه صحيحا؟

القلم: أكيد! كان فهمك للكلمة ثاقبا، إنني فخور بك.

مجلة الحبر: شكرا جزيلا، حقا، لقد كان اللقاء ممتعا ونافعا، وأرجو أن قراءنا أعجبوا ونهلوا من إفاداتك اللغوية، أحسن الله إليك.

قراءنا الكرام، ننتظر تعليقاتكم البنّاءة واقتراحاتكم النافعة حول السلسلة، ودمتم في أمان الله سالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النقد ، كما يراه أحمد شوقي

«فن قديم كريم وتالد من رأس مال الحضارة في علوم الأدب وفنونه، توارثه الأواخر عن الأوائل، فأخذته حضارتهم فحسّنته على عاداتها، وضخّمت كتابه ووسّعت أبوابه وهذّبت أصوله ووضعت قيوده، حتى صار من دعائم الصحافة وأضحى ظِل التأليف، ومعرض العبقريات، ومرآة آثارها في مسائل الأدب وشتى مطالبه؛ والنقد حارس الأدب ومكمل الكتاب والكتب، وهو آلة إنشاء، وعُدّة بناء. وليس – كما يزعمه الزاعمون – مِعولَ هدم ولا أداةَ تحطيم.

والناقد مستهدف، يعرض عقله وبضاعته وخلقه وحكمه على الناس، وربما ارتد معوله إليه كما يرتد سلاح البغي إلى صاحبه فهدمه على المكان، والناس يرون وهو لا يرى من سكرة الغرور، ومَن نقدَ على غضب؛ أسخط الحق، ومن نقد على حقد؛ احترق وإن ظن أنه حرق، ومن نقد على حسد؛ لم يخْفَ بَغيُه على أحد، ومن نقد على حب؛ حابى وجمحَ به التشيُّع»

«أسواق الذهب» (ص١١٠)

رحلة عبر الزمن في قضية من قضايا النحو

أ. عمار عبد الحفيظ

لـذّةُ العلـم في تحقيـق مسـائله العويصـة وتحليلهـا، ومـن تـذوّق لذتـه هـان عليـه نعيـمُ الدنيـا بحذافيـره، فالمسـائل الدقيقـة ذاتُ المطالـب الغامضـة والفوائـد الغاليـة تحتـاج إلـى عنـاء وتعـب وكـدّ، مـع التيقـظ والحـذر الشـديد، ومـما ينبغـي لطالـب العلـم ألا يتوانـى عـن تثبيـت أي معلومـة، والتوصـل إليهـا، واسـتيضاحها، وتصويرهـا في النفـس تصويـرا راسـخا شـاملا؛ فبذلـك تتكـوّن شـخصيته العلميـة، ويصفـو ذهنـه وتتنقَّـح قريحتـه في مسـائل العلـم، وتصحُّ موازينـه ومناقشـاته العلميـة.

يقـول الإمـام الشـافعي رحمـه الله : «مـن تعلَّـم علمـا فليدقِّـق فيـه، لئـلا يضيـع دقيـق العلـم»[1]، وهـذا أصـل عظيـم وأسـاس قويـم لبنـاء شـخصية كل عالـم ومتعلـم.

فمـن هـذا البـاب عُرضـت علـي مسـألة نحويـة، فتلقّيتهـا - علـى دأبـي - هيّنـة لا غمـوض فيهـا ولا خفـاء، لكنـي لمـا خُضْـتُ غمارهـا ألفيـت نفسـي في خِضَـمِّ البحـر، فعكفـت علـى الكتـب، وبـدأت أجـول بيـن المؤلفيـن عـبر العصـور؛ كـي أنـال وجـه الصـواب في المسـألة، ومـن تعنّـى نـال مـا تمنّـى.

كان مـن المتبـادر إلـي أنهـا مسـألة لا نقـاش فيهـا ولا نـزاع، لكـن جـزى الله عنـي خيـرا أسـتاذي الـذي ربّـاني علـى عـدم الجـزم في النفـي في مسـألة مّـا؛ لأن النفـي يتطلّـب الحـذر والتـأني، والخطـب فيـه جليل، فـلا بـدّ مـن التحفـظ الشـديد والأنـاة والحـزم في الأمـور، وأوصـاني أن أتخـذ التثبـت والتيقـظ في النفـي شـعارا لـي في جميـع الأمـور.

بـادئ ذي بَـدء قـد تسـرّعت في الجـزم بالحكـم في هـذه المسـألة، لكـن حـاكَ في صـدري أن المسـألة ممـا يمكـن النقـاش فيهـا، فشـرعت بتوفيـق الله تعالـى في تصفُّـح الكتـب، ومناقشـة الرجـال حتـى تجلّـت لـي المسـألة علـى أدراجهـا، فـأردت عرضهـا علـى العقـول حتـى تَزِنَهـا ثـم تُلَقّحهـا، علـى أني لـم أجـزم بالنتيجـة؛ إذ الجـزم في كثيـر مـن الأمـور ليـس مـن الحـزم، فـإن كان صوابـا فمـن كـرم الله ومنّـه، وإن كان خطـأ فـذاك مـن سـوء الطويّـة وحظّهـا.

لام الأمـر: لام تدخـل علـى الفعـل المضـارع فتجعلـه بمعنـى الأمـر، وسـمّاها البعـض لام الطلـب، كمـا قـال ابـن هشـام في أوضـح المسـالك[2]: والـلام الطلبيـة أمـرا كانـت، نحـو: ﴿لِيُنفِـقْ ذُو سَـعَةٍ مِّـن سَـعَتِهِۦ﴾ [الطـلاق: ٧]، أو دعـاء، نحـو: ﴿لِيَقْـضِ عَلَيْنَـا رَبُّـكَ﴾ [الزخـرف: ٧٧].

هلـمّ! فلنتابـع السـير في جولتنـا عـن تتبـع آراء العلمـاء في دخـول لام الأمـر علـى المخاطـب؟ نطـوف

(١) أسنده البيهقي في مناقبه ٢/ ١٤٢ من طريق الزعفراني عن الشافعي.

(٢) ابن هشام الأنصاري ت: ٧٦١هـ، أوضح المسالك، ٤/ ١٨٢.

بين علماء النحو من شتى القرون، ونطّلع على آرائهم في هذه المسألة، وهذا طواف مُمْتع يُلَقِّح العقول، وينير الأذهان، ويشحّذ الهمم، وتسمو به العزائم.

ومن عجيب قصتي مع هذه القضية، أنني تَقَلَّبْت في رأيي ثلاثا؛ وذلك أني لما شرعت في تحقيقها بدت لي فكرة فقرّرتها، وحسبتها الفيصل في الموضوع، ثم شرعت أبحث، وأبحث، حتى جزمت أن الصواب في هذا الباب: دخول لام الأمر على المخاطب المعلوم مطّرد، وناقشت إثر ذلك بعض الفضلاء ووجوه القوم، فحرضوني على التنقيب والبحث المزيد، فشمرت عن ساعد الجدّ ثانيا، وطفقت أتصفح بطون الكتب، وأسرح النظر في طيّ السجل، حتى آل رأيي إلى أن الجزم في المسألة ليس من الحزم، وأن الاعتدال هو عرضها على ذوي العقول الراجحة، والآراء السليمة، والأنظار الثاقبة؛ ليسلك كل سالك سبيله في الأمر، وينهج منهجه، ويتخذ طريقه.

تصوّر أن المسألة بدايتها منذ زمن بعيد، وقرن مديد، تُلْجئنا إلى أن نسافر بعقولنا عبر الكتب في القرون الأولى، فهذا الأخفش المتوسط إمام الصناعة النحوية، وصاحب العقل الواسع، والرزانة القوية، من علماء القرن الثالث، حين دُوّنت العلوم حديثا، ولم تزل في عنفوانها، ينكر دخول اللام على المخاطب برأيه الحصيف، واطّلاعه الواسع بلغات العرب، حتى عدّ هذه اللغة رديئة، وجزم بأن اللام لا حاجة إليه في هذا الموضع[٣].

ودخل القرن الرابع الهجري، وفي طليعة علمائه العلامة ابن جرير الطبري رئيس المفسرين، فأيّد رأي الأخفش بكلامه الرصين المتين، وتعقّله الصائب القويم، يرى في تفسيره[٤] أن دخول لام الأمر على الفعل أمر مستردئ عند العرب، ولا تصح دعوى كونها لغةً.

هذان هما النحويان اللذان أنكرا دخول اللام على المخاطب المعلوم، وأن الصواب عدم دخولها في المخاطب، ولذا نفيا تلك القراءة، ولم أجد عن غيرهما الإنكار.

وهو رأي قوي متين؛ إذ اعتلوا بعدم سماع دخول اللام على المخاطب من العرب، ولو صح ما قالوا لكان الأوجه، لكن كيف؟! وقد ثبت بخلافه في التنْزيل العزيز من القراءة المتواترة، وأي شيء أعظم من كتاب الله تعالى؟!

أما الرأي الثاني، وهو أن لام الأمر تدخل على الغائب والمخاطب مطردا، وأن دخوله على المخاطب هو الأصل في فعل الأمر، وهذا الرأي له رجاحة ومتانة، وصاحبه ذو شخصية قوية، يعرفها القاصي والداني، إنه أمير المؤمنين في النحو أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، قد أبدى رأيه في كتابه الجليل معاني القرآن[٥]، كتاب اجتمع الخلق عند إملائه، حيث عدّ دخول اللام هو البناء الذي خلق للأمر، وجعله أصلا في هذا الباب، واستشهد ذلك بقراءة زيد بن ثابت في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٨٥]، وبقول النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي بعض المشاهد لتأخذوا مصافكم، يريد بِهِ: خذوا مصافكم[٦].

(٣) أبو الحسن سعيد بن مسعدة، الأخفش المتوسط، معاني القرآن، ١/ ٣٧٥، وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي، عالم باللغة والأدب، إمام النحو، أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنانه، بل أكبر، وكان ثعلب يفضله، ويقول: كان أوسع الناس علما. توفي سنة ٢١٠هـ، وقيل: بعده.

(٤) ابن جرير الطبري ت٣١٠هـ، جامع البيان، ١٢/ ١٩٩-٢٠٠

(٥) أبو زكريا يحيى الفرّاء ت: ٢٠٧هـ، معاني القرآن، ١/ ٤٦٩. وهو أمير المؤمنين في النحو، العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي، الكوفي، صاحب الكسائي، قال ثمامة بن أشرس: رأيت الفرّاء، ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحرا، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده. وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو، توفي الفرّاء بطريق الحج سنة ٢٠٧هـ.

(٦) هذا الحديث من قبيل: مشهور عند النحاة، غير ثابت عند المحدّثين بهذا اللفظ، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ١٢٧: «غريب»، نعم، قد ورد في صحيح مسلم ١٢٩٧ ما هو شاهد، وهو قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم»، والمعنى: خذوا مناسككم. وقد اختلف العلماء في الاستشهاد بألفاظ الحديث الشريف في اللغة العربية، والصواب عدم جواز الاستشهاد، وراجع

فهذا قول في ذروة العلى من اللغة، وكيف لا؟! وصاحب هذه المقالة، هو الذي قال فيه ثعلب: «لولا الفرّاء، لما كانت عربية، ولسقطت؛ لأنه خلّصها»، وتزداد دهشتك وحيرتك حينما ترى المبرّد مكاتفه ومعاضده، وما أدراك ما المبرّد؟ إنه باقعة النحو وإمامه، علّامة اللغة، ما رآى مثل نفسه، حكم بجودته من حيث الأصل في كتابه الـمُقْتَضَب[٧].

تعال أيها القارئ، ما تم السفر بعد، ولما سرّحنا النظر في القرون، نتجول بين عقول الأفذاذ والجهابذة من اللغويين والنحويين والبلاغيين، فنشاهد عقل الزمخشري كأنه علم في رأسه نار، يتقدم برأيه في أسلوب جزل، ، وبرهان قويم، في تفسيره الذي ذاع في الآفاق صيته، قد خلّي هو والطريق، فما له من مبارز في بيان اللغة والبلاغة عند تفسير كتاب الله العزيز، وهاكم رأيه، فتمسكوا به وعضّوا عليه[٨]: «وقرئ: فلتفرحوا، بالتاء، وهو الأصل والقياس، وهي قراءة رسول الله ﷺ فيما روي، وعنه: لتأخذوا مضاجعكم، قالها في بعض الغزوات».

فهذه طائفة من الجهابذة والنحارير في علم النحو، جعلوا دخول لام الأمر على المخاطب أصلا، ولا يخفى أن مخالفة الأصل محذور، لا سيما إذا كان لقولهم وجه سائغ في اللغة والبلاغة، فهذا شيخ العربية في عصره، يتكلم عن اللامات في كتابه الماتع الفريد في كتابه «اللامات» مبينا وجه إتيان لام الأمر على المخاطب بأسلوبه المتين، وما أجزل بأسلوبه!، يقول: «وربما أُدْخلت اللام في هذا الفعل أيضا؛ توكيدا، فقيل: لتذهب يا زيد، ولتركب، ولتنطلق»، واختارت طائفة من المتأخرين، وقليل من المتقدمين أمثال الزجاجي[٩]، ومن المتأخرين ابن يعيش النحوي[١٠]، وابن هشام الأنصاري[١١]، والأشموني[١٢]، وجمع من المعاصرين كعباس حسن صاحب النحو الوافي[١٣]، ومصطفى الغلاييني صاحب جامع الدروس العربية[١٤]، وغيرهم أن دخول لام الأمر سائغ على القواعد، إلا أنه غير مطّرد، وورود في كلام العرب قليل[١٥]، وقد أبدى بعض المعاصرين أن دخولها على المخاطب في الشعر أكثر[١٦]، نعم وجدت كلاما متينا للشيخ محيي الدين عبد المجيد، فأردت نقله، حتى يتّضح المَعلم، ويتنوّر الدَّرْبُ لمن أراد السَّيْر، قال: «ذكر الزجاج أن جزم فعل المخاطب بلام الأمر لغة جيدة، ونحن إلى ما ذكره الزجاج أميل؛ لوروده في الحديث الصحيح وفي قراءة جماعة من الصحابة الأعلام»، ومن الملاحظ أني بعد التتبع الشديد لم أهتد إلى قول الزجاج الذي نقله، فالله أعلم بمصدر نقله.

وبعد هذا التطواف الممتع قد اجتمع لديك -أيها القارئ الكريم- طائفة من أقوال جهابذة النحو ونحاريره، أما أنا فلم أجزم في اختيار أحد الآراء، غير أن الرأي الثاني أميل إلى قلبي من غيره، وقد عرضتها على ذوي العقول الراجحة والأذواق السليمة، فيسلك كل سبيله، ويذهب مذهبه، ولكلٍّ وجهة هو موليها، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

للتفصيل كتاب العلامة طاهر الجزائري «توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر» ٢/ ٦٩٩؛ فإنه أجاد وكفى وشفى.

(٧) أبو العباس المبرد ت: ٢٦٨هـ، المقتضب، ١/ ٣٤٥. وهو إمام النحو، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، النحوي، البصري، كان إماما، علامة، جميلا، وسيما، وكان آية في النحو، ما رأى مثل نفسه، توفي ٢٦٨هـ.

(٨) جار الله الزمخشري ت: ٥٣٨هـ، الكشّاف، ٢/ ٢٥٣.

(٩) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي ت: ٣٣٧هـ، اللامات، ٩٢.

(١٠) ابن يعيش النحوي ت: ٦٤٣هـ، شرح المفصل، ٧/ ٤١.

(١١) ابن هشام الأنصاري ت: ٧٦١هـ، أوضح المسالك، ٤/ ١٨٢.

(١٢) علي بن محمد الأشموني ت: ٩٠٠هـ، شرح الألفية مع حاشية الصبان، ٤/ ١٤١٢.

(١٣) عباس حسن، النحو الوافي، ٤/ ٤٠٦.

(١٤) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ٢/ ١٨٥.

(١٥) يجدر بالذكر هنا رأي الدكتور إبراهيم بركات في كتابه «النحو العربي» ٢/ ٨٧ أن لام الأمر تدخل على المخاطب غالبا، ولغيره من الغائب والمتكلم أيضا..

(١٦) د. محمد فاضل السامرائي، النحو العربي، ٢/ ٤٦٢.

ياصباحاه!!

العربية في خطر، ورجالها في أفل

أ. حمزة نذير

خرجتُ من المكتبة منطلقًا نحو السلم للنزول، إذ بطالب يستوقفني بقوله: يا أستاذ! يا أستاذ! كأنَّ سؤالا دفنه في صدره ليبوح به إلي، توجهتُ قِبَله لأستمع ما يبثُّه من حديث، فقال ووجهه يتلألأ بالفرح والحبور: يا أستاذ! أريد أن أتحسّن في اللغة، أخبرني كيف أجيد اللغة العربية؟ كيف يمكن ذلك؟

بادئ ذي بدء عنَّ لي أن الطالب يتخذني هُزُوًا، فتجاهلته بالابتسامة المصنوعة، وتقدمت نحو ما كنت أقصده من النزول، وبدا لي أن الكلام خرج منه مخرج الهُزال والسخرية، ولكن الطالب واصل المشي ورائي وأخذ يردد القول نفسَه بلهجة مِلْؤها الودُّ والإخلاص، والشعورُ بأهمية اللغة والتقدم فيها.

لم أقم بسدِّ حاجة الطالب بجواب يشفي عِلَّته، ويروي غُلَّته، وتخلَّصت منه قائلاً: سنتكلم حول هذا الموضوع لاحقا، وتظاهرت له بالاستعجال، وشعرت أنه جعلني في موقفٍ حرِجٍ.

خُيّل إليّ ذلك الحين أني نجوت من الإجابة، ولكن ما هذا؟ سؤال الطالب لا يفارق خيالي، ولا يغيب عن بالي، وعلِق بمخيَّلتي كما يعلَق العِلْك بالثوب، كلما أتذكر كلماته الصادرة عن صادق الاعتقاد، أُضْطَرُّ إلى تقليب الصَّفَحَات من حياتي الماضية، فكم في ذلك الكتاب من هلاك الوقت في فضول، لم يعُد علي بعائد دنيوي ولا ديني، ومالي الآن سوى التحسُّر والتأوُّه، والعضِّ على بنان الندم.

أما الطالب المسكين فقد اغترَّ ببعض الكلِيْمات الفصيحة التي حفظتُها وأردِّدها مثل الببغاء في كل حينٍ وآنٍ، وظنَّ التطبُّع طبْعًا، والتَّكحُّلَ كحلاً، وحسَّن بي ظنَّه؛ ليتخذني قدوةً في اللغة، فيا له من سذاجةٍ وبساطةٍ! والحق الحقيق بالتقبُّل على رغم أنوفنا أن المهارة اللغوية أضحت في ديارنا أعزَّ من الكبريت الأحمر وعَنْقَاء مغربٍ، وأصبحت من الترجيحات الثانوية بعد أن كانت من أوْلَى الأوْلَوِيَّات لدى أسلافنا؛ إذ كانوا يعيرون لها أشدَّ الاهتمام ويبذلون لأجلها المجهود الجبار.

أيها الطالب المسْتَسْمِنُ ذا ورم! لا تعني المهارة اللغوية التشدق بالأقوال المحفوظة والتفاصح بالعبارات المسجوعة، فالمهارة اللغوية تفوق كلَّ هذه السَّطحيات، وترمز إلى الرسوخ في العلوم اللغوية نحواً وصرفًا، أدبًا وبلاغةً، كتابةً وخطابةً، نُطقًا وبَيَانًا، ولا يستغني الطالب فيها بحفظ العبارات الرنانة والكلمات الطنانة عن معرفة أسرارها اللغوية، والمترادفات والأضداد، مع الإحاطة بأساليب الأدباء القدماء والمعاصرين، ومع الحظِّ الأوفر من حفظ شعراء العرب قديمًا وحديثًا من غير أن يُخطِئَه حسنُ الاستدلال بها.

لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنت آكلُه
لن تبلغَ المجدَ حتى تلعق الصَّبِرَا

فلا تظننَّ أيها المسكين! أن المهارة اللغوية حفظ بضعة حواراتٍ أو كتابة بعض مقالاتٍ، وإن اخْتلجَ ببالك أن تكون ثعالبيَّ الزمان، وفَيْرُوزِيَّ الدهر، تمتلك ناصية البيان مثل أبي الحسن علي الندوي، وتضاهي بكتابتك الرافعيَّ والمنفلوطيَّ، فعليك باستفراغ الجهدِ والوسْعِ تُجَاهَ العربية، وتوسيع أفقِ المطالعة لكتب الأدباء القُدامى والعصريين، والإلمام الشامل بأساليب اللغة التي تتغير من مجالٍ إلى مجالٍ، فلكل محيطٍ عِلْميّ أساليبه المعلومة ومصطلحاته الخاصة به، لا يحسُن التَّغافل عنها لماهر اللغة.

وقد أصبح كمٌّ هائل من الطلاب مخدوعين بأن معرفة اللغة العربية مجرد عبارةٍ عن النطق بها والكتابة بها، وأما الخوض في معرفة أسرارها والتوسع فيها شأنَ الاختصاصيين، فهو مضْيَعةٌ للوقت، ولا تحتاج إليه الأمة كما تحتاج إلى غيرها من العلوم؛ متغافلين أن اللغة العربية مغزوّةٌ من قبل أعداء الدين كشأن سائر العلوم الإسلامية، وفي التمسك بفصيحِها توحيد الأمة الإسلامية

من مشرقها إلى مغربها، وفي هَجْرها والأخذ باللهجات المحلية المنبوذة - العامية - شَتاتُ الأمة وتفكُّكُها، والباطل يسعى ليل نهار بشتى الحيَل في إبعاد المسلمين عن لغة دينهم وقرآنهم بُغيةَ التفريق والتشتيت بينهم، ولكي تقع الأمة في مُسْتَنْقَع التعصُّبِ الممقوت، ويثيرون العصبية اللسانية والقومية ليتصارع المسلمون دون لغاتهم المحلية التي لا تعود عليهم بكبير فائدة.

وهذا التفريط في جنب العربية ناجمٌ عن تجاهلنا تأثير اللغة في النفوس والأقوام، واعتقاد أن مجرَّد اللغة لا تنكِّس رايات الأعداء، وأن في انحطاط اللغة انحطاط المسلمين، وفي ذهاب اللغة إدبارهم، ولذا يفرض المستعمرون لغاتهم على البلاد المستعمرة قهرا وقسرا، كي تصبح تلك الأمة المستعمَرة مغمورةً في طيات أوراق التاريخ لا وجود لها في أرض الواقع، وكل هذا يؤكِّد علينا إطلاق الحملات التوعوية والتذكير بين آونةٍ وأخرى، وإيقاد جذوة الحب في قلوب المسلمين عامةً - العرب والعجم - وأهل العلم خاصةً تُجاه لغتهم الحبيبة التي نطق بها أفصح من وطِئَتْ قدماه الأرض ﷺ مع العلم أن المهارة في العلوم الإسلامية تكون بقدر المهارة في اللغة العربية، إضافة إلى أن العربية حِلْيةُ أهل العلم الظاهرة، والجهل عن ثقافتها العامة تُوقعُ في أخطاء علميةٍ فاحشةٍ فاضحة، وفوق كلِّ ذلك تمتُّ هذه اللغة إلى دين المسلمين بصلةٍ عميقةٍ وطيدةٍ، وتضمن لنا زيادة العقل والمروءة، وتتكفل لنا حفظ الدين الذي نتفانى لأجله. ولن تستطيع الأمة الإسلامية أن تكون أمةً بمعناها الحقيقي حتى تتحد في لغتها وتتآزرَ في مصائبها وتتناصر في أهدافها، وتشترك في خواطرها وطموحاتها، ولن نقود العالم كله -كأسلافنا - إلا بعد الخروج من رقِّ العبودية الفكرية، ونبْذِ اللغات الأخرى التي لا تمتُّ إلى الدين بصلةٍ، واتخاذ لغة القرآن لغة رسميةً، ومن المعلوم أن لكل لغةٍ عواطف وأفكارا وآمالا لا تحملها غيرها، وأن اللغة العربية مع سعة معانيها وألفاظها تحمل أوسع الأفكار والآمال والطُّموحات، ولا يمكن تحقيق هذه الطموحات وإعادة مجد الأمة وشهامتها وعزها إلا بالتمسك بمبادئ الدين وقِيَمِه المثلى، وما يدفعنا إلى كل هذا إلا الإيمان الجمُّ واليقين الكبير بالله تعالى.

نحيا على الدهر إخوانًا وإن فصلَتْ
تلك الحدود رُباكم عن رَوابينا
ما دام من هذه الفصحى لنا صلةٌ
لا تطمعنَّ الليالي في تَنَائينا

الأمثال العربية وما يماثلها في الأردية (١)

١ - ابْنُهُ عَلَى كَتِفِهِ وَهُوَ يَطْلُبُهُ

يضرب لمن يبحث عن الشيء في المظان البعيدة،

وهو بالقرب منه

بغل میں لڑکا شہر میں ڈھنڈورا

٢ - أَحَشَفًا وَسُوْءَ كِيْلَةٍ

يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين

ایک تو چوری اس پر سینہ زوری

٣ - إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ

يُضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزَّلّة

گرتے ہیں شہسوار ہی میدانِ جنگ میں

٤ - إِنَّ الحَدِيْدَ بِالْحَدِيْدِ يُفْلَحُ

أي: أن الحديد إذا أريد شقه وكسره قِطَعًا لم يقاومه إلا الحديد،

ولم يقوَ على قطعه شيء سواه

لوہا لوہے کو کاٹتا ہے

٥ - إِنَّ وَرَاءَ الْأَكَمَةِ مَا وَرَاءَهَا

يُضرب للتعبير عن أمر مُريب، أو مكيدة وراء شيءٍ ما

دال میں کچھ کالا ہے

٦ - إِنَّ لِلْحِيْطَانِ آذَانًا

أي: وراءها من يسمع دون أن ندري

دیوار کے بھی کان ہوتے ہیں

٧ - إِنْ اسْتَوَى فَسِكِّيْنٌ وَإِنْ اعْوَجَّ فَمِنْجَلٌ

يضرب في الأمر ذي الوجهين المحمودين

آم کے آم گٹھلیوں کے دام

٨ - إِذَا تَفَرَّقَتْ الْغَنَمُ قَادَتْهَا الْعَنْزُ الْجَرْبَاءُ

يضرب في الحاجة إلى الوضيع

مجبوری میں گدھے کو باپ بنانا پڑتا ہے

٩ - إِذَا اصْطَلَحَ الْفَأْرَةُ وَالسِّنَّوْرُ خَرِبَ دُكَّانُ الْبَقَّالِ

يضرب في تظاهر الخائنين

کتیا چوروں مل گئی پہرہ دیوے کون؟

١٠ - إِنْ كُنْتَ رِيْحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا

يضرب للرجل يكون جلداً فيصادف من هو أجلد منه

سیر کو سوا سیر/آپ ڈال ڈال ہیں تو میں پات پات

أ. حمزة نذير

الشكر

قيد للموجود، وصيد للمفقود

أ. أبو الهيثم فرقان أحمد

إن لِلّهِ نِعمًا كثيرة على عباده، إن تدبر المرء وأمعن النظَرَ فيها، فلا يكاد يُحْصيْها أبدا، ونعمة الإيمان من أعظمها وأجلها رتبةً ورفعةً وعظِمًا، لايساويها غيرها من النعم مهما كبرت وتعاظمت لدى الناس، ومن يشكر الله على النعم يزيده، قال بعض الحكماء: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود، وقيل: الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة.

وقال الشيخ ابن عطاء الله: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها قيدها بعقالها.

فالشكر على النعم مجلبة للرحمات والبركات والحب والرضا من جانب الرب الرؤوف الرحيم الودود العطوف، ولايختلف اثنان في أن الصابر الشاكر على رشد وهدى من الله ـ جل في علاه ـ، وقد أرشده الله إلى الخير والصواب وإنه جل جلاله قديغدق عليه شآبيب الرحمة والرضوان في كل حين وآن.

وكان مطرف بن عبد الله بن شخير يقول: إن أحب عباد الله إلى الله الشكور الصابر، الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. (الزهد لأحمد ابن حنبل)

فعلى الإنسان أن يشكر الله دائما، ولا ينفك لسانه وجنانه من الشكر والحَمدِ لله عزوجل والثَّناءِ عليه ويتردد على لسانه صباحَ مساءَ ليلَ نهارَ، اللهم لك الحمد ولك الشكر، وبالطبع لِيَصْدُرْ ذلك الشكر من سويداء قلبه وقرارة نفسه.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم وألا يصرفها في غير طاعته.

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، كَيْفَ يَسْتَطِيعُ ابْنُ آدَمَ أَنْ يُؤَدِّيَ شُكْرَ مَا صَنَعْتَ إِلَيْهِ؛ خَلَقْتَهُ بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ، وَأَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ، ثُمَّ أَمَرْتَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ، فَقَالَ: «يَا مُوسَى، عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي فَحَمِدَنِي عَلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ شُكْرَ مَا صَنَعْتُ إِلَيْهِ». (الزهد لأحمد ابن حنبل ،٢/ ٣٩٩)

وينبغي للإنسان أن يعيش بين الصبر والشكر ويتمسكَ بالرضا، وذلك بالصبر عند العسر والشكر عند اليسر، وهذا هو دأب الحياة، أحيانا تواجه السراء، وقد تعتريك الضراء، فعلى المرء أن يهدأ ويطمئنَّ في الحالتين، فلا يجزعَ عند البلية ولا يمرحَ ويتغطرسَ عند المسرة؛ إنما الدنيا دار الابتلاء والامتحان وكلٌّ منا يُخْتَبَرُ فهو بمثابة شخص في قاعة الاختبار.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] العمل الحسن هو إرضاء الله بتصرفاتك.

فانتبه أيها الإنسان إلى ذلك، وفكِّرْ قبل أن تتصرف أيَّ تصرف، وتَدبَّرْ قبل أن تنطق ماتريد، لئلا تسقط في هوة المهالك، من قولك الشنيع، وعملك الوخيم وفصلك الرديء وتصرفك القبيح فتندمَ بعد ذلك ولات ساعة مندم.

ويجدر بنا أن نلاحظ بعض الأسباب والعوامل التي تحثّ المرء وتعينه على الشكر والاعتبار:

منها: أن يلاحظَ الإنسان ما أنعم الله عليه من عظيم النعم التي تحيط به، أضف إلى ذلك نِعَمًا لم يحصل عليها ولم يَنَلْهَا مِنْ كَسْبِه وكَدِّه إنَّما هي منّ محض من الله تعالى، على رأسها نعمةُ الإيمان، وسَلَامَةُ الأعْضَاءِ والْجوارح وما إلى ذلك من النعم الَّتي لاتعد ولاتحصى، ولو لم ينفَكَّ لسان المرء وجنانه من الشكر مادام على قيد الحياة حتى تزهق روحُه لم يؤدِّ حق الشكر.

ومنها: أن يتدبر الإنسانُ ويُفكِّرَ فيما عنده من النعم؛ بينما نفس النعم ليست عند غيره، فهذه الفكرة من بَوَاعِثِ الشكرِ والطُّمأنينةِ والتقدير.

ومنها: أن لايلتفتَ المرْءُ إلى نِعَمِ غَيْرِه لئلا تُوَسْوِسَ إليه نفسُه وتُرِيَهِ تلك النعم عظيمةً، والنعم التي في حوزته حقيرة، فهذا ضلالٌ وليس برُشْدٍ، وغَيٌّ ولَيْسَ بِهُدىً.

الطريق القويم والعمل الصائب أن يشكر الله على ما منحه من النعم التي يعيش فيها ولن يغفل أبدا عمَّا منحه الله نعما عديدة وأن يشكر عليها بلسان قاله وببيان حاله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣].(فتح الباري لابن حجر، ١٥/ ٣)، وركب سليمان بن داود عليهما السلام مركبًا فجاء أناس من قومه فقالوا: يا رسول الله أُعطيت شيئًا ما أُعطي أحد قبلك. قال سليمان عليه السلام: أربع خصال من كن فيه، فقد أُعطي خيرًا مما أُعطي آل داود من الدنيا. خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الغضب والرضا، وحمد الله في السراء والضراء. (تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء، ٤٤٩/ ١).

ولكنْ كثيرا ما نرى شخصا كئيبا مغتما عبوسا قمطريرا على أبسط الأمور والبلايا الحقيرة الصغيرة مع ما عنده من النعم الباهظة الوفيرة، فهذا كفران النعم وعدم الاعتبار بها، وهذه الوتيرة داعية لسلب النعم التي يتمتع ويَلْتَذُّ بها؛ فالبلية والمصيبة مصحوبة في حياة جميع الناس، ولْيعلمِ المرءُ أنَّه ما من أحد في هذه الدنيا إلا وهو معرض للهموم والغموم ولكنها ليست بحيث تكبح مرور الحياة والتعايش، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فاعترف بفضل الله ورعايته في كل لحظة من لحظات حياتك لتبقى ما عندك من النعم وتزداد.

نسأل الله أن يجعلَنا شاكرين، ونستعيذُ بالله أن نكون من الذين يجحدون النعمة ويكفُرون بها.

باب التوبة لا يُغلق أبداً

أ. أسامة عبد الرحيم

أجمعت الأمة المحمدية الإسلامية على أنه لا أحد من البشرية بأسرها معصوم من الذنوب إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ حفظهم الله تعالى لأنهم صفوة خلقه، اجتباهم لتبليغ رسالته، ولهداية عباده، يكونون قدوة لهم في أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم، ولكي يثق الناس فيهم، قال ربنا في محكم تنزيله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]

وأما غير الأنبياء عليهم السلام فقد جعل الله تعالى بحكمته البالغة لهم الفطرة التي تتعرض للخطأ والنسيان، قابلة للتقصير والزلل، ولا عصمة لهم، وقد ذكر الله تعالى في كتابه في أكثر من موضع أن الإنسان ليس معصومًا من الخطأ ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وهذا الضعف ليس دليلًا على نقص أو عيب في الإنسان، بل هو جزء من طبيعته، وهذا اختبار من الله له، وأدل دليل على ذلك قول النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»، وبه يعرف العبد قيمة التوبة، ويشعر بحاجة الرحمة والمغفرة. وما دام الإنسان لم يغرغر فإن باب الرجوع إلى الله لا يُغلق أبدًا.

والجميل في ديننا أن الله لا يترك عباده بعد الخطأ، بل يفتح لهم باب التوبة ويأمرهم بها، ويقبل رجوعهم مهما كثرت ذنوبهم. فالمؤمن الحقيقي هو الذي إذا أخطأ ندم، ورجع إلى ربه قبل فوات الأوان، قال تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالتوبة رجاء أن يفلحوا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، والآية نص في أن التوبة واجبة على كل مسلم، فالتوبة سبيل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد وعد الرحمن جل جلاله موجها الخطاب إلى عباده جميعا بالرحمة والمغفرة رغم ما ارتكبوا من الخطايا وتجاوزوا الحدّ في التمادي حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] ، فهذه الآية كأنها رسالة رجاء وأمل لكل من أيس من رحمة الله وشعر بالبعد عنه بسبب خطاياه، ذكر الإمام الحافظ عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره عن عمر رضي الله عنه أنه سأل ركبا عن الآية التي هي أرجى في القرآن، فذكروا بأنها ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ...﴾. فهو غفور يغفر الذنوب بلا حدود، ورحيم يرحم عباده برحمته الواسعة التي غلبت غضبه، فالخطأ لا يعني نهاية الطريق، بل هو فرصة للتوبة والرجوع إلى الله، والتوبة تطهر القلوب، وطريق محبة الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في «الإحياء» نقلا عن بعض الحكماء. «من أعطي أربعا لم يمنع أربعا،

من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب». والشّاهِد فيها أنه من وفقه الله تعالى فتاب إليه صدقا من قلبه وندم على ما اقترفه لهو جدير أن يقبل الله توبته ويطهره من دنس ذنوبه.

فيا من أسرف على نفسه وقنط من رحمة الله، ويا من أغواه الشيطان فضلّ عن سبيل الرحمن، ويا من اتّبع نفسه فوقع في شهواته خلاف مرضاة الله تعالى، ويا من أثقلته الذنوب وأقلقته المعاصي! قف وارجع وسارع إلى ربك، وابتعد عن كل ما ألهاك عن الله؛ فالله لا ينظر إلى كثرة ذنوبك، بل ينظر إلى صدق رجوعك إليه، مهما أسرفت، مهما أذنبت، مهما شعرت أنك لا تستحق الرحمة، تذكّر أرجى آية في القرآن، فمن الذي يرحمك إن لم يرحمك ربك الرؤوف بعباده، فتب إلى الله الحينَ ولا تؤجّل، وابكِ على ذنبك، نادمًا، خاشعًا، والله سيبدل سيئاتك حسنات.

يقول أبو نواس رحمه الله تعالى:

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعا
فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم إنّي مسلم

نسأل الله أن يرزقنا توبةً نصوحًا لا نرجع بعدها إلى الذنوب أبدًا، وأن يختم لنا بالخير، ويجعلنا من التائبين المقبولين. اللهم آمين.

يقولون لي: فيك انقباضٌ..

القاضي أبو الحسن الجرجاني[1]

يقولون لي: "فيك انقباضٌ" وإنما
رأوا رجلاً عن موقفِ الذلِّ أحجما
أرى الناسَ من داناهُمُ هان عندهم
ومن أكرَمته عزةُ النفسِ أكرِما
إذا قيلَ: هذا مَنهلٌ، قلتُ: قد أرى
ولكنَّ نفسَ الحرِّ تَحتَملَ الظَّمَا
أُنزِّهها عن بَعضِ ما لا يشينُها
مخافةَ أقوال العدا فيم أو لما
وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبت
أقلِّبُ فكري إثره مُتَندِّما
ولكنه إن جاء عَفواً قبلتُه
وإن مَالَ لم أُتبعهُ «هَلاَّ» و«ليتَما»
وكم نعمةٍ كانت على الُحرِّ نقمَةً
وكم مغنمٍ يَعتَدُّه الحرُّ مَغرَما
ولم أبتذل في خدمة العلمِ مُهجَتي
لأَخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخدَما
أأشقى به غَرسًا وأجنيه ذِلةً
إذن فاتباعُ الجهلِ قد كان أَحزَما
ولو أن أهل العلمِ صانوه صانَهُم
ولو عَظَّمُوه في النفوسِ لَعُظِّما
ولكن أهانوه فهانو ودَنَّسُوا
مُحَيَّاه بالأطماعِ حتى تَجهَّما
فإن قُلتَ جَدُّ العلم كابٍ فإنما
كبا حين لم يُحْرَسْ حِمَاه وأُسْلِما

(١) علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني. عالم موسوعيٌّ وأديب ناقد من أعلام القرن الرابع للهجرة. ولد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الريّ، فقضاء القضاة. وتوفي بنيسابور

وقفةٌ مع
عداوةِ الأعداء وواجب الأمة

أ. عمر عبد الرحمن

يا مسلم كيف تطمئن على نفسك ممن لا يُشفى غليله إلا بدماء المسلمين وقد صدق القائل جل وعلا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢]

أترى القصاب يتأفف عن سلخ الشاة بعد أن جز عنقها؟! أم ترى النباش يمتنع عن كشف عورة أخيك بعد أن نبش قبره؟!

وقد مثل النبي ﷺ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، وكيف تدعي أن الوحش يمنع نفسه عن أكل ما قدر عليه بعد أن تمتع بامتصاص دمه، وكيف تشهد للحيّة في دعواها أن سمها لا يتعدى موضع اللدغ أو أنها ستمتنع عن تلبية نداء فطرتها؟!

فيا أيها المسلم! يا من اتبع شرائع الإسلام! يا من أتى بأمر ربه بدون أن يعرف حكمة الحكم و ربه حكيم! يا من لبّى لنداء امرأة وجهز جيشا وبعث غازيا! يا من فتح الأرض مشارقها ومغاربها وفتح القلوب والعقول بتنفيذ عدل الإسلام! يا من شق صفوف ذئاب البشر حتى بلغ آخرهم! يا من فتح الأرض وأورث الإنسانيه العلم والثقافة وأشهد إسبانيا وغير ذلك ما قد يضيق المقام عن ذكره على نشر الحضارة وتوطيد العمران...!

ما لنا غلبت علينا خلائق الثقة بالأعداء والإصغاء إليهم والاسترشاد برأيهم في دنيانا حتى في ديننا، وما لنا نبرر منهم ما برروه حتى ما استقبحته الطبائع من استباحة دماء الأبرياء من الرجال المسلمين حتى نساء البيوت والأطفال الذين لا يملكون القيام بأمور دنياهم والعجزة الذين لا يملكون رأيا في الحرب، أما آن لكم أن تعتبروا وتستيقظوا من غفلتكم وسباتكم العميق وأن تنطقوا بالحق؟!

ألا ترى هؤلاء المحتلين الغاصبين إذا خربوا المنازل وأحرقوا الدور وأطلقوا النار للحضارة والعمران، وسفكوا دماء الكثيرين لأجل إحياء ثلة قليلة، ثم إذا دفع واحد الأذى عن نفسه وقاتل دون أهله وماله وقام دون الرصاص ليدفع عن وطنه بكوا بدموع التماسيح واستغاثوا بالإنسانية والعدل والديمقراطية، ودعوا بالويل والثبور والهلاك، فإذ الأمة تسهو من غفلتها لإنقاذ هذا الظالم، وترى الصحف والمجلات والمذياعات وكل ما به بلاغ تنشر صور انتهاك حرمات الإنسانية.

فيا للأمة! ما بكم أن تكونوا إمّعة وتغمضوا أعينكم عن الحق والصواب، لماذا تصير الجريمة مكرمة

وعدلا والباطل حقا، والسيئة حسنة إن كانت على إخوانكم المسلمين؟!

فهل سمعتم بأمة تعين عدوها على نفسها؟ هل سمعتم بأمة تعيش حياتها في الحرب مثل عيشها في السلم؟

والله ما مثلنا من اليهود إلا أن رجلا كان يذبح العصافير في يوم بارد ويبكي فقال عصفور منها لأخيه: ألا ترى إلى شفقة هذا الرجل ورقة قلبه؟ قال: ويحك! لا تنظر إلى دموعه ولكن انظر إلى ما تصنع يداه، فكذلك أمر هؤلاء المحتلين الغاصبين والداعين بالويل ورافعي علم الإنسانية، إذا صار بيدهم السلاح كانوا ذئابا كاشرين، ويلك! ألا ترى الأرض إذا صارت مجزرة ومذبحة بها جثث أحياء عند ربهم كم خلفت وراءها من أمهات ثاكلات وزوجات مفجوعات وصبية وبنات؟

فيا أيها العربي! كيف ترضى لأختك أن يؤاجرها اليهود لتفقد عزها وشرفها وهي ترجوك لإنقاذها من أن تقع؟ أما تغار عليها؟

ويا أيها المسلم! ألا تستحي من طفل يمنع الرصاص بصدره عنك ويكون ضحية دوننا وأنت لا تغنيك المدافع عن القيام بمهمتك؟ ما لكم لا تخافون ربكم أن يبعثكم من المنافقين، فنبيكم ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد قال: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق» (سنن أبي داود، رقم ٢٥٠٢)، ما لكم لا تصغون وتجيبون لنداء ثالث الحرمين المسجد الأقصى، لنداء من يستصرخ بكم من الشهداء الأبرياء وقد ضاقت بهم القبور، لنداء الأرامل واليتامى، لنداء من يكدن يفقدن عزهن وشرفهن، لنداء من ألصق الجوعُ بطنهم من الأرض، لنداء من يموت عطشا!

ما لكم لا تلبون لأمر ربكم القهار! ألا يهتف بآذانكم قول الله جل وعلا: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]

إن الله ليميز الخبيث من الطيب عبر كوارث الدهر، وليعلمنَّ الصادق من الكاذب، ولا يستوي القاعد والمجاهد، فانكلوا عدوكم وقاتلوهم وليجدوا فيكم غلظة، وأظهروا الشماتة له ولا توالوهم فإن من والاهم أدوا به إلى ترك دينه، ولا يرضون إلا بخلعك رِبقةَ الإسلام عن عنقك واتباع ملتهم، ومن يتولهم منكم فإنه منهم.

ولا تكونوا كالذي إذا فرض الله عليه القتال خشي الناس كخشية الله أو أشد خشية، ولا من الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فإن الله عسى أن يفرج عنهم الكرب ويأتي بالفتح فتصبحوا على ما أسررتم في أنفسكم نادمين.

أيها المسلمون! توحدوا واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ثم لا يؤخرْك تخلفُ قوم عن الجهاد؛ فإن المسلمين لن يُغلَبوا من قلة؛ فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وأنت لا تكلَّف إلا نفسَك وحرض المؤمنين، فما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، عسى الله أن يكُفَّ بأس الذين كفروا، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا.

المطاعم.. من المتعة إلى المؤنة

أ. حارث كسباتي

كانت المطاعم قبل بضع سنين محدودة، وكان الناس يقصدونها في مناسبات محددة معينة، وكان الآكلون فيها من الفئة القليلة من الناس، أو من الأغنياء الأثرياء، أو مسافرا غريبا يبحث لنفسه عن مأوى أو منزل يستريح فيه ويسد جوعه، فيتّجه مضطرًّا إلى أحد المطاعم، أما العامة من الناس فكانت معظم مآكلهم ومشاربهم في بيوتهم، وقلَّ من يعمد إلى غيرها، ولكن الآن قد تغيرت الأوضاع والظروف، وانقلبت الموازين، فلتجدنَّ المطاعم في كل حيٍّ ومنطقة، وعلى كل شارع وقارعة وممرٍّ، وحتى داخل البيوت والدور، وعلى الأسطح والسقوف. وإنها لتزيّن بالأضواء وضروب المزخرفات لِتُخفي خلفها عالما من الأضرار الصحية، والضغوط المالية، والآثار الأخلاقية والاجتماعية السيئة. وقد بلغ عدد المطاعم حسب أحد التقارير في كراتشي ٢٦٦٦ مطعم، بينما عددها في باكستان يبلغ ٢٧٠٥١. وهذا غير ما يوجد على الشبكة من «فود باندا» وغيرها من المواقع والتطبيقات الإلكترونية.

وهذه المطاعم تشتمل على المحلية وغير محلية من البلاد الكافرة ومن البلاد اليهودية الإسرائيلية الظالمة، قاتلة الأجنّة والرضّع والصبيان والنساء والأبرياء، مدمرة البيوت والمساجد والمدارس والمستشفيات، التي ما غادرت شيئا للظلم حتى جنته، وارتكبت من أنواع الظلم حتى حيّرت التاريخ، وأنْسَت الحجاج بن يوسف ووقعة الحرة، وفاقت في بشاعتها كآبة هولاكو والتتار.

وعلى الرغم من أن أطعمة هذه المطاعم شهية ولذيذة، ولا شك أنها داعية إلى الزيارات مرة بعد مرة ، وتدعو إلى الإكثار من طلب الطعام، إلا أن الآكل لا يرى الذي يحدث خلف الستار في المطبخ، ففيه الأواني المتسخة، واللحوم الفاسدة، والخضار الملوثة، والتوابل المغشوشة، بل قد سمعتم أخبارا أعجب من هذا، من كلب يُطبخ، أو حمار يُشوى، ويقدَّم إلى الآكل على أنه لحم شاة أو بقرة، فيستحسنها ويستلذ بها قائلا: لم نذق قط مثل هذا. وإن الجالس فيها قد يُبتلى بسماع الموسيقى، أو استنشاق بخار التدخين فضلا عن الأضرار الصحية التي تسببها من القيء، والإسهال، والحرقان في المعدة والصدر، وارتفاع ضغط الدم، والحكة الجلدية، والتورم، وضيق التنفس، والكوليسترول، وحمض اليوريك، إضافة إلى السمنة والكسل وقلة النشاط لكثرة الزيوت والدهون.

كما أن الأكل في هذه المطاعم يضيع الوقت الكثير، فإنك أولا تنتظر حجز المقاعد، ثم النادل و قائمة الطعام، ثم السلطة، ثم الطعام، فإذا فرغت فقد تنتظر الشاي أو القهوة، ثم تدفع الفاتورة. وكل هذا يسبب في سهر الليالي، وفوات التهجد وجماعة الفجر، بل فوات الفجر أصلا.

ومن أضراره الإسراف والتبذير وإهدار المال، فالوجبات البسيطة تقدم بأسعار مضاعفة، وأما الأطعمة الفاخرة فأثمانها تنطح السحاب، وإن كثيرا من الزبائن يطلبون أكثر مما يحتاجون، مما يؤدي إلى تلف كمية كبيرة من الطعام، ولو أن هذا المال تُصدِّق به على الفقراء والمساكين لانتفعوا به طيلة شهر. وكم من فاتورات لوجبة واحدة تعدل راتبا شهريا لأحد الموظّفين. ومن ثم المعتاد على الشهوات في الأكل لا يرغب في الطعام البسيط، ويكون عبدا لهواه.

هذا ما يتعلق بالعامة، وأما الخواص منهم كالطلبة والعلماء، فالمفاسد لهم أشد، وهم أحرى بأن يجتنبوها، وأولى بالابتعاد عنها لأنهم قدوة لغيرهم.

الحلقة (١)

الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله

حياته العطرة، ومآثره الخالدة

أ. نصير الله المنصور

رحَلتَ، والعِلمُ في عينيكَ منكَسرُ
تبكي المَعارفُ، والأقلامُ، والدُّرَرُ
كنتَ السراجَ إذا ما الليلُ داهمنا
وكنت غيما إذا ما أخلف المطَرُ
نم في السّكينةِ، لا حزنٌ يُكدِّرُنا
فأنتَ في الخلدِ، لا لغوٌ ولا كدَرُ

رحلتَ عن الدنيا، ولكن نور علمك لم يغب، وصوتك الذي لطالما دعا إلى الحق ما زال يرنُّ في الآذان، وكلماتك التي خطَّتها يداك حبًّا للغة الضاد ما زالت تُتلى وتُحفَظ، كنتَ عالمًا ومشفقا ومربيا، ولكنَّ علمك لم يكن حبيس الكتب، بل كان حياةً تنبض بها المجالس، وأملًا يُضيء دروب الحائرين، وحكمةً تسكن قلوب السامعين.

كم بلَّغت من رسالة، وكم دعوتَ إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكم رفعتَ من شأن العربية، فكنتَ من أبنائها البررة، تفخر بها، وتذود عنها، وتبخَع نفسك على أثرها، وتنثر دررها في قلوب تلاميذك ومحبيك، لقد كانت كلماتك آياتٍ من نور، وحروفك مصابيح هدى، وصوتك نداءً صادقًا إلى الخير، لا يعرف الكلل ولا الملل.

صفاته وخصاله :

قد أعجز عن ذكر جميع صفاته وعاداته وطريقة تعامله مع الناس؛ لكني أحاول جاهدا جمعها وسردها حتى نقتبس من أنواره وبركاته ونقتدي بهديه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا..

كان الدكتور رحمه الله رجلا وقورا مهابا، طويل القامة، نحيف الجسم عظيم الهمة، نحيل البدن قوي العزم والقلب والإرادة، لا ترى في مشيته شيئا من الخيلاء والكبر والتكلف، كانت السذاجة تتقاطر من ظاهره، وكان يحب الخلوة بنفسه، كثير الصلوات والعبادات والصيام، ما رأيته قط إلا وهو متفكر في بديع خلق الله وصنعته، كان يمتلك عزيمةً كالصخر، لا تهزّها الرياح العاتية ولا تضعف أمام التحديات، إرادته القوية كانت نورًا يهتدى به في عتمة الصعاب، ومصدر قوة لمن حوله، كان يواجه المصاعب بابتسامة تعكس يقينه بأن كل عقبة هي خطوة نحو القمة، لم يكن يعرف معنى الاستسلام، فكل سقوط كان بالنسبة له فرصة جديدة للنهوض، وإصراره على تحقيق أهدافه جعله رمزًا للتحدي وقصة تُلهم الآخرين.

كان يعلوه الوقار والبهاء دائما، ويجلوه التواضع والسكينة، مطمئن النفس والبال، وكان هادئ الطبع خَلُوقا، متواضعا في مشيته وجلساته، مصمما في أقواله وأهدافه، متمسكا بالسنن في جُلِّ أفعاله وأعماله، وكان يتعمم عمامة بيضاء ساطعة، ويرتدي لباسا يوافق السنة، ينصت للصغير والكبير، ويهتم بالغريب والقريب، جميل المظهر وسيم، صامدا مثل الجبل الشامخ، فخورا بما عنده من الديانة والدين، زاهدا عن الدنيا وراغبا في الآخرة، لم يكن يعرف الخيبة والهزيمة والكسل والطمع، بل كان مؤمنا بربه وراضيا دائما بقضائه، ترى في جلِّ أعماله الإخلاص، وكان الدكتور رحمه الله نموذجًا حيًا لليقين، والتوكل، والاعتماد على الله، والارتباط الوثيق به، اتسمت حياته بالتواضع، والبساطة، وصدق الحديث، والثقة بالنفس، وعدم

طلب الخدمة من أحد، والالتزام بالمشورة في كل أموره الصغيرة والعظيمة، وكان شديد الاحترام لأساتذته وعلماء الأمة، ولم يُسمع منه غيبة قط أو انتقاص أحد، كان شديد الورع، ومتجنبا عن كل ما فيه شبهة، سواء في الطعام أو المعاملات.

وأذكر لكم حياته التي قضاها عندما كان طبيبا في إحدى المستشفيات الكبيرة بكراتشي المعروفة باسم (لياقت نيشنل)...

أيامَ كان طبيبا في المستشفى تلك؛ لم يرضَ بالقعود والقناعة بما عنده من علم وعمل؛ بل كان يتلو من كتاب الله ما قُدِّر له كسورة (يسين) و (رحمن) كل صباح، ويُرشد الناس إلى دين الله المتين؛ فكان يقوم بالدعوة إلى الله، ويرغب النساء في الحجاب، ويزور العلماء في مساجدهم لتلقي علوم الشريعة حتى نال من علومهم ما نال، وتخرج سنة ١٩٨٧م من جامعة العلوم الإسلامية، وهذا يدل على شغفه بالعلم، وحبه الخاص للعلوم الدينية، واستمر على هذه الصفات حتى سنة ٢٠١٣م إلى أن تقاعد عن شغله في المستشفى.

ومما يدلُّ على بساطته وعزوفه عن الدنيا؛ أنه لم يعتدِ المكيَّفات في بيته ولا في غرفته بالمدرسة، ولم يستخدم السيارات الفاخرة، وكان يسوق السيارة بنفسه، فلم يتَّخذ لخدمته السائق ولا لحراسته الحُرَّاس، كان يحبُّ الجلوس على الأرض والاستراحة على الحصير، وكان يسافر بالقطار مع العامة من الناس.

وهذا النهج جعله محبوبًا لدى الناس، فلم تكن هناك أية حواجز في الوصول إليه، فكان كل واحد يستطيع مقابلته بلا موانع، والاستفادة منه بلا حرج.

رجل ما رأتْ عيناياَ مثله في عاداته وصفاته وعزائمه وإراداته، لو قلتُ لم أكن مبالغا: لقد كان ألمعي زمانه وعبقري دهره وفريد عصره.

الخلفية العائلية:

والدُه هو تشودري محمد علي (رئيس وزراء باكستان سابقا)، وُلِد تشودري محمد علي عام ١٩٠٥ للميلاد في (جالندهر) الهند ، وأكمل درجة الماجستير في الكيمياء من جامعة البنجاب بـ(لاهور)، وكان من تلاميذ شاعر الشرق العلامة محمد إقبال، وقد شارك في حركة استقلال باكستان جنبًا إلى جنب مع رئيس باكستان الجمهورية محمد علي جناح.

وبعد استقلال باكستان، اشتغل بمناصب حكومية مختلفة، وتولى لاحقًا وزارة المالية ووزارة الدفاع، ثم أصبح رئيس وزراء باكستان لمدة قصيرة من ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٥ إلى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٦، ولعب دورًا محوريًا في إقرار أول دستور لباكستان، وانتقل إلى رحمة الله في ديسمبر ١٩٨٠ بكراتشي، ودُفن وفقًا لوصيته في مقبرة طريق طارق العامة.

ولادته:

وُلد الدكتور أمجد أحسن علي رحمه الله في ٣٠ سبتمبر ١٩٤١ في (دلهي) الهند، وبعد قيام دولة باكستان، هاجر مع والده وهو في السابعة من عمره إلى كراتشي.

أساتذته:

من أساتذته الأجلاء الذين كانوا بالنسبة له مصدر إلهام وعلم، والذين ساهموا في تكوين شخصيته العلمية والروحية؛ العلامة الشيخ محمد أنور البدخشاني، ومحقق عصره العلامة عبد الرشيد النعماني، وهارون الرشيد، ومفتي ديار الباكستان المفتي ولي حسن التونكي، والشيخ إدريس ميرتهي، والشيخ بديع الزمان، والمفتي أحمد الرحمن والشيخ السيد مصباح الله شاه - رحمهم الله تعالى رحمة واسعة -.

الدراسة والمسيرة المهنية:

أكمل الدكتور رحمه الله تعليمه الأساسي في مدرسة عصرية اسمها (Grammer) بكراتشي، ثم حاز على شهادة (MBBS) من كلية (داؤ) الطبية بكراتشي، ولمواصلة المسيرة العلمية؛ سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسات العليا، حيث عمل في مستشفى كـ متخصص في أمراض القلب، ثم انتقل إلى الإنجلترا، حيث حصل على (MRCP) من الكلية (Royel Collage)، وخلال هذه الفترة تغيرت حياته تماما ببركة جماعة الدعوة والتبليغ، حيث تعرَّف عليها، وظل مرتبطًا بها حتى وفاته، وبعد إكمال مسيرته العلمية، التحق بـ مستشفى لياقت نيشنل بكراتشي، فعمل أولًا بدرجة طبيب حاذق وأخصَّائي، ثم تولى بعد ذلك منصب عميد كلية الطب.

(يتبع...)

الحلقة (١)

رحلة الشيخ عمر فاروق رحمه الله إلى الدار الآخرة

أ. عبد الرحمن عبد الله

أيها القارئ الكريم، نضع بين يديك سيرة عطرة للشيخ الجليل عمر فاروق رحمه الله، وهي رحلة ماتعة تكشف عن حياة عالم عامل. وآثرنا أن تكون على حلقتين؛ لما فيها من دروس قيمة تستحق أن نتأملها على مهل، فهذه أولاهما تروي لنا قبسات من سمو أخلاقه ونور تقواه، وستتبعها - بإذن الله في عددنا القادم - حلقة ثانية تتحدث عن معين علمه ونبع حكمته، ومآثره التي بقيت شاهدة على حياة حافلة بالعطاء. نسأل الله أن ينفعنا بسير الصالحين ويلهمنا الاقتداء بهم.

لقد لبى نداء ربه الكريم، الشيخ الجليل، العارف بالله، الداعية الكبير، أستاذنا الحبيب، ومربينا المشفق، أستاذ الحديث بمدرسة ابن عباس ومدرسة عائشة، حضرة الشيخ مولانا عمر فاروق رحمه الله بعد معاناة طويلة مع المرض، وتحمله بصبر جميل، وبشاشة وجه، وعزيمة ثابتة، وأمل متواصل.

إن وفاة الأستاذ الجليل مصاب جلل لكل من كان مرتبطا به، ولا سيما لمدرستي عائشة وابن عباس رضي الله عنهما؛ فقد فقدنا ركنا شامخا وسندا علميا وروحيا لا يعوَّض. نسأل الله أن يلهمنا الصبر والثبات، ويجبر كسرنا، ويعوضنا بفضله، آمين.

الحديث عن شخصية أستاذنا الجليل يشبه إضاءة السراج في وضح النهار، فالكلمات المعدودة لن تفي بحقه، أو تحيط بجوانب عظمته. فإن حياته وسيرته المباركة تستحق أن تخلد في سيرة ذاتية وافية، لأنه لم يكن إنسانا عاديا مثلنا مكبلا في قيود الرسوم، أو من أثقلَ كواهلَه عبءُ الحياةِ المتكلفة، بل كان شخصا استثنائيا يهتدى به في تهذيب الفرد، وفي وضع أسس المعاشرة للمجتمع.

ومع ذلك، فقد جرتني علاقتي معه إلى كتابة هذه السطور، عسى أن تلامس قلوب الأدباء وأصحاب القلم فيستلهموا منها ما يدفعهم إلى تدوين سيرة كاملة عن هذا العلم الفريد، ولعل الله يرزقني من بركة صفاته النبيلة شيئا ينفعني.

كانت صفات الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين تتجلى في شخصه حيث روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهم كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا... فكان رحمه الله طيب القلب، عميق الفهم، بسيطا بطبعه، غير متكلف في حديثه.

لقد كان مثالا حيا في سيرة السلف الصالح، تبدو للناظر فيه أنوار الأكابر وتلوح في ملامحه مآثرهم: بساطة مولانا قاسم نانوتوي رحمه الله ونفسه الزاهدة مع غزارة علومه، وفقه مولانا رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله وعشقه للسنة، وروح الدعابة العذبة التي كان يمتلكها الحافظ ضامن الشهيد رحمه الله وكان يخفي بها مقام فنائه في الله.

امتازت حياة أستاذنا الجليل بتعدد الجوانب، وكل جانب منها متكامل إلى درجة كأنه خلق لذلك الجانب وحده، فكان فارسا في ميدان التصوف، وداعية متميزا في ساحات الدعوة، وفقيها دقيق النظر في ميدان التعليم، وعالما لمعاني القرآن، وشيخا جليلا في علم الحديث. لكن الذي يجمع هذه الجوانب كلها هو صفته الخاصة: صلته بالله ، والتي منحته زهدا عجيبا في الدنيا كما جعلته مهبطا لفيوض العلوم الربانية ودقائقها مع بساطة مزاجه.

فكان رحمه الله إلى جانب غزارة علومه ودقة فهمه بسيطا في الطبع يتحير في بعض أبسط أمور الدنيا ويتعجب على الكلام بكل براءة فيتحير السامع أحيانا على بساطته وبراءته. فكان مصداقا للحديث الشريف: المؤمن غر كريم.

كان بعيدا عن الشهرة وأسبابها، وإنه لو أراد الشهرة لتلألأ في سماء الشهرة تلألؤ البدر بين النجوم، لكن لذة قربه إلى الله حقرت في نفسه مثل هذه العواطف، وأغنته عن التفكر فيما يفكر فيه العامة. وينجلي ذلك بنصيحته لي حين استشرته في مشاركة حفلة لعرض كتاب، حيث كان ضيوف الشرف فيها كبار العلماء وهيئة الحفلة كانت تريد مني دور المقدم، فقال: عدم المشاركة أفضل، لأن مثل هذه الحفلات عادة لا تفيد فائدة ظاهرة.

كان ولي الله وعارفا بالله.... ولم يكن ليفكر لحظة في تسمية نفسه بهذه الألقاب. إنه كان مفتيا عظيما، ولكنه كان في نفسه عمر فاروق فقط، وما شاع في الناس من اسمه هو (مولانا عمر فاروق) الذي بقي معه إلى آخر الحياة.

لقد اختار الأستاذ، رغم توفر جميع سبل الرفاهية والراحة، أسلوب حياة بالغة البساطة، فكان بيته بسيطا، ولباسه بسيطا، وحياته كلها تنطق بالتواضع والزهد حتى كأنه كان مصداقا حيا لقول النبي ﷺ: إن البذاذة من الإيمان.

لم يكن رحمه الله كثير المخالطة، ولكن إذا قدم إليه الناس استقبلهم ببشاشة وحفاوة، وأضفى على الجو بيئة الدعابة، حتى يتحول المجلس إلى مكان مفعم بالبهجة والسرور.

كان يعتكف كل سنة، ومعظم الأحيان كان اعتكافه في مسجد غفورية (باكولا مسجد)، وكان سبب اختياره لذاك المسجد حسب ما قال: إن فيه الشيخ الكبير شمس الرحمن العباسي حفظه الله، وقد رأيته على مدى أربعين أو خمسين سنة ملتزما بالأعمال الصالحة بالاستقامة. وكان يضيف إليه قائلا: إن الناس يلتفون حولي إذا اعتكفت في مسجدي، أما إذا اعتكفت في هذا المسجد فيجتمع الناس حول الشيخ شمس الرحمن حفظه الله، ولا يعرفني فيه أحد فأتبتل إلى الله مطمئنا.

(يتبع...)

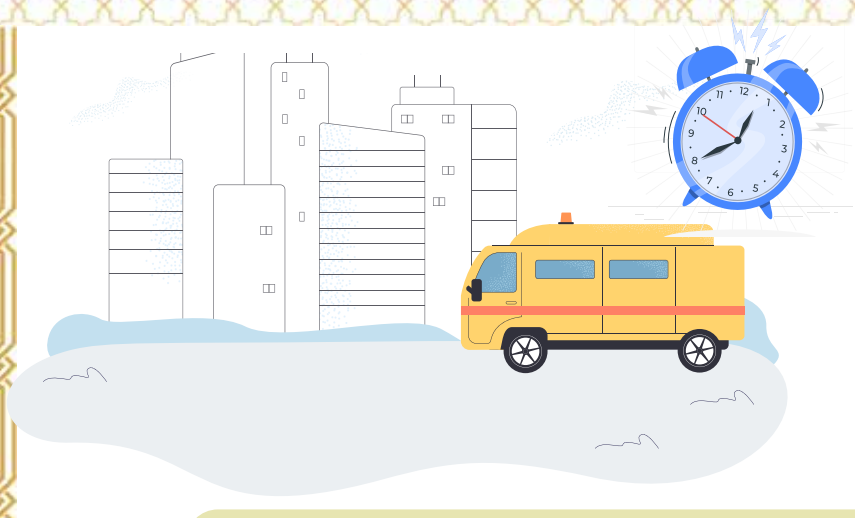

السائق الوفي

أ. أبو سالم الأنصاري

قصة مترجمة من الأدب الأردي للأديب «اشتياق أحمد»

كان خالد العبّادي صاحب شركة «الولاء» يدور في غرفته قاطبا وقد بدت أمارات القلق والغضب على وجهه ينتظر سائقه الذي تأخر عن الموعد...

عُرف العبّادي لدى أقرانه وزملائه بانضباط المواعيد ودقتها، فكان لا يكاد يتخلف عن موعد قط. وكان اليوم على ميعاد مع كبار التجار في اجتماع استشاري مهم في الساعة الثامنة تماما، وكان مكتبه على مسافة عشرين دقيقة من بيته؛ لذا طلب السائق السابعة والنصف لكي يصل إلى المكتب قبل بداية الاجتماع بعشر دقائق ولكن.... ها هي الساعة تشير عقاربها إلى الثامنة إلا خمس عشرة دقيقة!! وما كانت تمر ثانية من الوقت إلا زادته قلقا واضطرابا..

كان العبادي يسرح بأفكاره القلقة بعيدا، إذ سمع ضجيج سيارته فهبّ إلى الخارج مسرعا حاملا حقيبته في يمينه، وما إن ركب السيارة حتى تحركت ونفذت من البوابة كسهم ينفذ من قوسه. وصاح العبّادي على سائقه: «ما أسرعك!! لقد تأخرنا خمس دقائق من قبل! فهل يُغنيني إسراعك بعد أن قدمت متأخرا... ؟؟ ما الذي أبطأك وقد عرفتَ أنني دقيق بالمواعيد؟؟»

استمرّ العبادي في عتاب السائق:

«قد أخبرتك أن الاجتماع سيبدأ الثامنة بالضبط رغم ذلك تأخرت ربع ساعة بل وخمس عشرة ثانية مزيدة... بم أؤاخذك الآن؟؟ إن عَزَلْتُكَ فسيهُمُّني أمرُ أولادك الصغار فما جريمتهم فيما ارتكبتَ!!»

توقف العبادي قليلا ينتظر رده، ولكنّه لم ينبس بكلمة واشتغل بالقيادة مصوِّبا نظره إلى الأمام لا يكاد يطرف. فلمّا رأى العبادي أنه لم يجب استفزّه الغضب، لكنّه كظم غيظه وقال:« سأتعامل معك بعد الفراغ من الاجتماع».

ظل السائق صامتا، جامد الوجه، منتبها إلى القيادة.... ثم وقفت السيارة فرفع العبّادي بصره فإذا هي واقفة أمام مكتبه ثم خطف نظرة إلى ساعته اليدوية فصعق صعقة فرح واستعجاب.. قد بقيت بضع ثوان في الثامنة! فخرج من السيارة كالبرق دون أن يتلفظ بكلمة وعدا نحو قاعة الاجتماع، ولمّا دخلها كانت الساعة تضرب الثامنة تماما، وتعلقت به أبصار الناس ممتلئة تقديرا وإعجابا... لحسن انضباطه ودقته!!

ولمّا فرغ من الاجتماع ركب السيارة، وانطلقت به وقد أطبق عليها صمت ثقيل، فانقبضت نفس العبّادي من صمت السائق، فقال له مستغربا بصوت فيه رفق: «يقلقني سكوتك، أعترف لك فضلك أنك أوصلتني في الوقت المحدد رغم تأخرك، وأنقذتني من الندامة. وأعتذر إليك عما بدر مني من لوم وعتاب.. ولكنك لو وصلت على الموعد لما اضطررت إلى قيادة السيارة على سرعة هائلة لا تخلو من الخطر... أما آن لك الآن أن تطلعني على سبب تأخرك؟؟»

فتحركت شفتاه لأول مرة:

«سيدي، إن كان من دأبك الانضباط والدقة فمن دأبي إغاثة الملهوفين والكشف عن المكروبين... أسوق لك سيارتك منذ ست سنوات ولم تبطئ خلالها عن موعد ما، فلو أبطأت هذه المرة لعلم الناس أنه قد أصابك مكروه، أو ألمت بك حاجة شديدة فأخّرتْك، ولأشفقوا عليك، وعذروك. ولكنني بإذن الله تعالى جمعت بين

الحسنيين فأنجزت عملي وأوصلتك على الموعد».

– «فما الذي حال بينك وبين الوصول على الموعد؟».

– «اصطدم شاب على دراجته بسيارة فشُجّ رأسه، ونزف دمه، ولم يرض أحد أن يحمله إلى المستشفى فوقفت بالسيارة عنده وتراءى لي أمران: إما أن أتجاوز عنه كغيري وأصل إليك على الموعد، أو أحمله إلى المستشفى، فأبطئ عنك، فأسمع منك ما يسوءني، أو أُعزل عن وظيفتي التي حاجتي إليها شديدة لمرض أمي العجوز. ولكني رحمت الشاب المصاب بشجة وعزمت أن أحمله إلى المستشفى ففعلت وسلّمته إلى الأطباء ورجعت إليك فورًا، وبذلت كل ما أستطيع من مهارة في القيادة؛ لأصل على الموعد، فأعانني الله ونجحت فيما عزمت. ولم أرد عليك الجواب في طريقنا إلى المكتب لأركز انتباهي على القيادة.. فهذه قصتي فإن شئت طردتني..» واختنق السائق قبل أن يكمل كلامه واغرورقت عيناه.

– «لا ، كيف أطردك وأنت تحمل بين جنبيك قلبا جميلا ولا تقلق مما قلت لك».

–« قف....قف...أي طريق اخترته اليوم؟!! ليس هذا بطريقنا!!»

– أجاب السائق بكل هدوء: «سيدي، أذهب إلى المستشفى لأعود الجريح لعله يحتاج إلى من يتبرع بالدم».

– «لا عليك، ولكن نزّلني أولا إلى البيت ثم انصرف إليه».

– «سيدي، اقتربنا من المستشفى، إن هي إلا دقائق».

تجعّد جبين خالد العبادي لكنه كظم نفسه حتى وصلا إلى المستشفى فنزل السائق من السيارة وفتح الباب الخلفي.

– «تفضل، سيدي».

–«بل عده أنت وحدك... وإن احتجت إلى النقود فاطلبها».

– قال السائق مبتسما: «ألتمس منك يا سيدي، أن تصحبني؛ لتشاركني في هذا الخير».

فنزل خالد العبادي منقبضا فصعد به السائق إلى الطابق الأول من المستشفى ووقف أمام غرفة خاصة..

– «ويحك، ألحقته بجناح خاص؟؟ إنه لغال جدا! من سيُسَدّد فاتورته؟؟».

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي السائق وقال:

– «أنت، سيدي!»

– «يا للعجب! ولم أنا؟»

ولكن السائق لم يجب ودخل الغرفة وتبعه خالد العبادي... ثم بُهتَ الرجل من المفاجأة واستولت عليه الدهشة... إذ الجريح ابنه!!

– «ولدي..!! ماذا فعلت؟ لم أخفيت عني هذا الخبر؟»

وأقبل على ابنه يحتضنه ويقبّله. فقال السائق: «لو أخبرتك لتخلفت عن الاجتماع الاستشاري على أهميته. وقد أخبرني الأطباء أن الإصابات ليست بخطيرة، وأعلمتهم بأن الجريح ابنك لكي يعتنوا به كل الاعتناء. وكنت في اتصال مستمر مع سيدي الصغير أثناء الاجتماع.. أسأل عنه وأسلّيه».

قال الولد مُطَمْئِنًا أباه: «نعم، يا أبت! أصاب العم السائق، إنه لكريم الجانب ورقيق الحواشي، لقد أحسن رعايتي».

قال السائق:

«لو شعرت بشدة الإصابات وخطورتها، لأخبرتك ساعتئذ، ومَا ذهبت بك إلى مكتبك بل أحضرتك هنا ولكنني لمّا رأيت أن سيدي الصغير في عافية أخفيت عنك النبأ لكي تشارك في الاجتماع وأنت هادئ البال، مرتاح الجانب».

نظر خالد العبادي إلى السائق نظرة إكبار وتقدير ثم تحركت شفتاه:

«لم أطلع من قبل على الجوهر المكنون في صدرك ولعلنا نخطئ عندما نقيس الناس بحِرَفهم لا بغرائزهم وملكاتهم النبيلة.. ولستَ من اليوم سائقا بل عيّنتُك أمينا مستشارا وموظّفا كبيرا في شركتي... وأطلب منك المسامحة على معاتبتك».

فأجاب السائق باسما:

«لا عليك يا سيدي، لقد أجزلت مثوبة عتابك ولومك».

فأقبل عليه العبادي مستبشرا وضمّه إلى صدره بحفاوة.

مقاطعة أم مشاركة ..

حوار صديقين أيقظ ضميرًا نائمًا

أ. ذيشان إسماعيل

في مساء يوم هادئ، أدّى زيد وطاهر صلاة العصر في مسجد مسمّى بعلي المرتضى -رضي الله عنه-، وبعد الفراغ من الأذكار، تنعّلا وانصرفا من المسجد، وعند عتبة بابه تبادلا البسمات والتحية الحارّة، وتوجّها إلى أحد الفنادق، وجلسا معًا في ركن هادئ على مهبّ الرياح كي يتنفّسا الصعداء، علمًا بأنّهما تخرّجا معًا من إحدى الجامعات الشهيرة على مستوى البلد.

ويا للعجب! بعد قليل نرى بونا شاسعا من نواح عديدة بين العواطف والأفكار، وها هي ذي أكبر المأساة في مجتمعنا المنقسم في قضية «غزة» - لا وارث لها إلا الله - مئات المئات من القتلى والجرحى، تلفتْ أموالهم، ودُمّرت عقاراتهم، وخُرّبت بنيانهم، وأمّا الأمّة المسلمة فغافلة مطمئنة، غضَّت بصرها غير مكترثة بها، ورضيت بحضيض الذل، وتغافلت عن أواصر الأُخُوّة الإيمانية، والحمية الإسلامية.

(فلننظر إلى ما دار بين الصديقين، وما جرى بينهما صورة حية لواقعنا اليوم)

طلب طاهر من وصيف الفندق أن يُحضر المرطّبات والمشروبات المحلية، فجأةً، أظهر زيد رغبته في طلب المشروب الغازي (ستينغ).

صوّب طاهر بصرَه المليءَ بالدهشة والحيرة تجاه زيد وقال: هل لا زلت تفضّل (ستينغ) في المشروبات؟!.

رد زيد وقد علت وجهَه ملامحُ الاستفهام: لماذا؟ هل أُفتي بحرمته؟

طاهر: ليست القضيّة قضية الحلال والحرام، بل هو مقتضى غيرة الإيمان والفتوى من جماهير العلماء، ولا سيّما من فضيلة الشيخ المفتي تقي عثماني - حفظه الله ورعاه - بالاجتناب من المنتجات الإسرائيلية كلّيًّا.

زيد: ولكن يا أخي، لا تنسَ أنّه لا يوجد نصّ قطعيّ صريح يستلزم المقاطعة، بل يختلف الفقهاء في هذه القضيّة، كما تعلم أنّ بعض أهل العلم يخالفون هذه المقاطعة، ويذكرون العلّة أنّ الأصل في التّجارة الإباحة، وفي الشراء ليس دعمًا مباشرًا للقتل.

طاهر: يا أخي في الله، المفتي أدرى بأهل زمانه، ثمّ لا نشكّ في كون فضيلة الشيخ المفتي تقي عثماني

– حفظه الله ورعاه – من كبار فقهاء الأمّة في العصر الحاضر، ولديه تجارب عميقة ومعرفة دقيقة بأحوال الأمة، فإذا قال بالمنع، فعلينا أن نمتنع.

وثانيًا: قال الرسول –عليه السلام–: مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى [مسلم: ٢٥٨٦] فالسبيل الوحيد نستطيع به نصرة إخواننا من فلسطين هي النصرة بالمقاطعة الشرعية، وكلّ من يعين على الظلم بأيّ شكل من الأشكال حتّى بالشراء يكون آثمًا بنصّ الحديث: «من أعان ظالمًا سلّطه الله عليه». والمقاطعة ترفع الروح المعنويّة للفلسطينيين وتشعرهم أنّهم ليسوا وحدهم، واعلم أنّ المقاطعة عندما تكون جماعيّة ومستمرّة تُحدث فرقًا واضحًا، والأمثلة على ذلك كثيرة بين أيدينا: «ماكدونالدز» و«كوكا كولا» فقد أصابتها خسائر عظيمة إثر المقاطعات الفعالة في عدة دول، ومن المعلوم أن «الكفر ملّة واحدة»، هم يعينون بعضهم بعضًا، أمّا المسلمون فهم غير متحدين في الآراء، وللأسف الشديد، كثير منّا لا يعرفون ماذا يحدث في فلسطين من القتال والدّمار والمجاعة، الله أكبر! الله أكبر! لا نستطيع أن نتحمّل كما تحمّلوا، ومع ذلك يشكرون الله ولا يكفرونه، أمّا نحن؛ ففي النّعم والآلاء ولا نشكر الله عزّ وجلّ، فالمساجد خاوية في صلاة الصّبح إلّا القليل... أخي الغالي، إن نشر ثقافة المقاطعة يُعدّ مقاومة فكريّة، ويُسهم في بناء وعي عالمي بالقضيّة، وإنّها تحرّك الرأي العام العالمي ضدّ الاحتلال.

زيد: يا أخي، في أيّ عالم تسكن أنت؟ إسرائيل تموّل نفسها ذاتيًا وتملك اقتصادًا قويًا لا يتأثّر بسهولة بمقاطعات فرديّة، وغالبًا لا توجد بدائل عمليّة متوفّرة في بعض الدول الإسلاميّة، ما يجعل المقاطعة صعبة، وأخبرك الحقائق: في بعض الدول (مثل الخليج وأوروبا) يُمنع قانونًا التمييز بين المنتجات، وقد تواجه عقوبات إذا أعلنت المقاطعة؛ لذا أقول لك: إنّ المقاطعة لن تغيّر شيئًا، إنّها رمزية لا تؤثر فعليًا في واقعهم ولا اقتصادهم.

ابتسم **طاهر** في هدوء وقال: بل إنّ الرموز قد تصنع الثورات، ووجود إسرائيل أوهن عند الله عزّ وجلّ من بيت العنكبوت، وإنّ الشعوب تبدأ نهضتها من الوعي لا من العجز، وكلّ مقاطعة هي صرخة في وجه الظالم، وموقف بطولي في زمن التخاذل، ودعوة لإحياء الكرامة، وكما نجحت المقاطعة في نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، يمكن للمقاطعة الاقتصاديّة أن تضغط على إسرائيل أخلاقيًا وسياسيًا، ثمّ دعني أسألك: لديك ابنتان وولد بفضل الله ونعمه، فإذا جاء أحد وخطف بنتك الكبرى أو الصغرى – لا سمح الله – فهل تنسى بنتك؟ وترضى أن يقطّع جسدها ويمثّل بها؟!!

فأجاب **زيد** وقد علا صوته من غير أن يملكه : لا، ولن أرضى أن تُقتل فلذة كبدي، ولن أبرح منه حتى أقتله أو أُقتل!

الآن اهتزت روح زيد عندما تخيّل الكارثة عليه وأحسّ بعظم الفاجعة، ومرّت أمام مخيلته صور دمار فلسطين ووجوه الأطفال الشهداء، والنساء البريئات والأمهات الثكالى، والشيوخ الضعفاء، وشعر بأن الأمة نسيت دورها، وخذلت إخوانها، فأحنى رأسه وقال بصوت يملؤه الندم: «صدقتَ يا طاهر، صديقي الحميم، أيقظتني من نوم عميق، وسأكون في صف الذين يقاطعون المنتجات الإسرائيليّة، وأدعو الله – عزّ وجلّ – أن يدمّر ديارهم ويهلكهم –إن لم يؤمنوا– كما أهلك عادًا وثمود.

هكذا افترق الصديقان، وقد ترك هذا اللقاء في نفسيهما أثرًا لا يُمحى، وأيقظ قلبًا كاد أن ينام في بيئة الخمول والخذلان، وأصبح زيد من الدعاة الذين يقاطعون المنتجات الإسرائيليّة بالجدّ والحماس.

مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما

مؤسسة علمية دينية إسلامية تسعى أن تكون قدوة لمدارس العالم، ولا سيما في شبه القارة الهندية في تدريس العلوم الدينية باللغة العربية الفصحى، لإعداد علماء دعاة يتزودون بالقرآن والسنة و يتحلون بالبساطة والمجاهدة لنشر الهداية في أنحاء العالم.